جامعة الملك سعود

King Saud University 1957

رسالة
في
أخلاق
السلف
الصالح

٢١٨
ر

رسالة في أخلاق السلف الصالح ، لم يعلم المؤلف. بخط عثمان بن مصطفى الأنقروي سنة ١٢٧٢هـ.

١٤٥٧ ٧ ق ٢١ س ٢١٫٥×١٤سم

نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، رؤوس الفقر بالحمرة.

١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية
أ- الناسخ ب- تاريخ النسخ.

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ارسل محمدا وانزل له كتابا واتبعنا شريعته واصلى
واسلم على سيدنا محمد واله اجمعين وبعد فهذه رسالة نفيسة
صغيرة الحجم كبيرة القدر ضمنتها جملة صالحة فيما كان عليه السلف
الصالح من صفات معاملاتهم نفعنا الله من بركات حسناتهم امين
اعلم من اخلاقهم انهم ما يقبلون هدية ولا دعوة من الذى فى ماله
شبهة وكان لا يقبل احدهم شيئا من الاموال الولاة ولو كان فى غاية
الضيق بل يطوى ويجوع حتى يجد شيئا من الحلال ولم يكن منهم
يعانى ركوب الخيل ولا الملابس الفاخرة ولا الاطعمة النفيسة
ويتزوج المنعمات ولا يسكن فى القاعات المرخمات الان وجد ذلك
من حلال فى نادر الاوقات وكان الملوك يعرضون عليهم الرزق
والجوالى والمسامح والمرتبات من بيت المال فيابون ويقولون
مال السلطان انما هو معد لصرفه فى المصالح واقامة شعاير
الدين وانفاقه على الجند الذابين عن المسلمين ونحن ليس فينا
نفع لاحد الشيخ المغربى ودخل عليه السلطان قايتباى مرة
وهو ياكل رغيفا يابسا بله فى الماء فعرض عليه الف دينار فردها

ولنشد

وانشد السلطان اقنع بلقمة وشربة ما ولبس الخيش وقل لتلك
ملوك الارض راحوا بايش فحصل للسلطان عبرة فبكى وحمل
الالف دينار فاين حال هؤلاء من مشايخ وعلماء هذا الزمان
الذين يسافرون من اماكن بعيدة الى السلطان ليسئلوا ان
يرتب لهم السلطان جوالى او مسموحا او مرتبا مع ان احدهم
يجد فى بلده ما يكفيه وكان الاولى بهم لو عرض ذلك عليهم
ان يردوه ولا يزاحموا جند السلطان فى مال المصالح كما درج عليهم
سلفهم الصالح ايها الاخ العزيز وفقنا الله انظر الى احوال السلاطين
السابقين ما عملوا شيئا الا موافقا لحكم الشريعة وما حكموا الا
بالعدالة مع قدر الامكان مع هذا علماء السلف ما تقربوهم ولا
قبلوا منهم شيئا قال بعضهم مال السلطان نار الديدان وفى زماننا
هذا فاين سلاطين ولين حتى اجتنبوا من مال الشبهه بل يظلمون
على الناس المسلمين وياخذون مالهم بالغصب يجمعون الى بيت المال
ما يجتنبون من الحرام يخلطون بيت المال من كل الاجناس مع هذا
مشايخ وعلماء زماننا هذا يطلبون ويسئلون من السلطان مرتبات
من مال بيت المال ويقولون بيت المال مال المساكين نحن مساكين ومحتاجين
لابد نطلب من مالنا من يد الغير ومحتاجين اعوذ بالله من علماء
السوء لسانهم مع العلم باطنهم مع الجهل لانهم فى يد نفس الامارة
مهلكون يتكلمون مع القياس ما يعرفون فى هذا الزمان اشد الحرام مال
بيت المال ما يقاس الى زمان الاول لما ذكر يا اخ العزيز اوصيك الا
ان تحرص من تقارب الامراء واموالهم ايضا مثل تاجر الذى يبيع ويشترى

منهم ومن العلماء الذي ياكل في هذا الزمان من مال بيت المال ويقبض جوامك
هدايا الامراء وياخذ منهم دينار ولا نتحقق ان تركوه ثم يمشي في هواهم
اللهم احفظنا من مخالطة علماء السوء ومن شرهم وصحبتهم ثم قال
ايضا اعاذنا الله من شرارهم ووقع لشيخ من اشياخنا انه سافر الى الروم يطلب له
زيادة مرتبة من الجوالي وكانوا اعطوه قبل ذلك اربعين نصفا كل يوم
فلما بلغ الى اصطنبول جلس في طرف البلد وارسل قاصده الى الباشا
يعلمه بقدوم سيدي الشيخ ليخرج الى لقائه فابى الباشاه وقال للقاصد
قل له ان كان له حاجة عندنا فاتونا الى البيت فابى الشيخ فقال الباشا
يا عجبا كيف يسافر من الشام الى الروم في طلب الدنيا ويطلب من الامراء
ان يعظموه مع انه يحتاج اليهم وليس احد منهم يحتاج اليه واذا كان
من يزعم انه ولي قد راض نفسه باصناف المجاهدات وانفسه على الامراء
فكيف بنا مع عدم رضات نفوسنا وعدم حاجاتنا اليه ثم ان الباشا
ارسل للشيخ ضيافة ولم يات اليه وقال انما فعلت ذلك مع الشيخ
لاعلمه الادب فان ذهاب مثلنا انما يكون لمن تعرض عليه الدنيا
فيردها علينا واما من يطلبها منا فلا يستحق ان احدا منا يمشي اليه
ولخر الامر ان الشيخ رد خائبا الى بلده وقال لي الامير محمد دفتر مصر
مرة انا لا اعتقد في مشايخ مصر الان ولو مشى احدهم في الهوى
فقلت له لم ذا فقال لاني رايتهم يجهدون في طلب الاكثر مما يجهدون
فيها قال وقد دخل علي شيخ منهم في رمضان ليفطر عندي فقلت له
هذا الطعام عندي في حله شك فلا تاكل منه فقال قدمه لي وعلي
حسابه في الاخرة فكيف اعتقد مثل هذا وانا لا اتطيب نفسي ان اكل منه

مع ان معتقده من الظلمة فوالله يا اخي ان تتخلق بالمشايخ الذين ادركناهم
كانوا على مثل هولا في قلة الورع والقناعة فنسي الظن بهم واياك يا اخي
ان تتظاهر بالمشيخة في هذا الزمان الا ان كنت محفوظ الظاهر من التخليط
كاموال الكشاف ومشايخ العرب والظلمة فان تظاهرت بذلك وظاهرك
غير محفوظ فقد خنت الله ورسوله واهل الطريق والملفت دين من تبعك
وكان عليك لائمة المنطلين زيادة على اثمك لا سيما ان ادعيت انك
اعلى مشايخ مصر مقاما فلذلك وضعت هذا الكتاب كالميزان يتبين به
الربح من الخاسر والمحق من المبطل والصالح من الطالح فاعرض
يا اخي ما فيه من الاخلاق على كل من طلبت ان تصحبه من هولاء المشايخ
الظاهرين في هذا الزمان فان وجدته متخلقا بها فاصحبه واقتد به وقبل
رجله وان وجدته غير متخلق بها فاضرب عنه صفحا وابعد عنه من غير
ازدراء له وكل امره الى الله عز وجل فاكرم به من كتاب جاء على حين فترة
من ايام الصادقين مجددا لما هدم من اخلاق القوم كما درج علماء العاملون
في كل عصر فيا ان احدهم مجددا بمولفاته ما اندرس من معالم الطريق
فيهم سيدي محمد الغمري يسمونه فقيه الصوفية فان له مولفات في
اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاق السلف الصالحين ولا
اعلم احدا جاء بعده حذى حذوه انتهى ولنشرع في مقصود هذه الرسالة
فاقول وبالله التوفيق من اخلاق سلف الصالح رضي الله عنهم اجمعين ملازمة الكتاب
والسنة كلزوم الظل للشاخص ولا يتصدر احدهم للارشاد الا بعد
تبحره في علوم الشريعة المطهرة بحيث يطلع على جميع ادلة المذاهب المندرسة
والمستعملة ويصير يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج القاطعة

والحجة الواضحة وكتب القوم مشحونة بذلك كما يظهر من اقوالهم و
افعالهم وكان سيد الطائفة ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه يقول
كتابنا سيد الكتب واجمعها وشريعتنا اوضح الشرائع وادقها وطريقتنا
هذه مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القران ويحفظ السنة
ويفهم معانيها لا يصح الاقتداء به وكان رضي الله عنه يقول ما نزل
من السماء علم وجعل الحق تعالى للخلق اليه سبيلا الا وجعل لي فيه حظا
ونصيبا وكان يقول لو رأيتم رجلا قد تربع في الهوى فلا تعتقدوا به
حتى تروا صنيعه عند الامر والنهي فان رأيتموه ممتثلا لجميع الاوامر
الالهية مجتنبا لجميع المناهي فاعتقدوه واقتدوا به وان رأيتموه
يخل بالاوامر ولا يجتنب المناهي فاجتنبوه انتهى وهذا الخلق صار
غريبا في غالب فقراء هذا الزمان فصار احدهم يجتمع ببعض من ليس له
قدم في الطريق ويتلقف منه كلمات في الفنا والبقا والتجلي
مما لا يشهد له ظاهر كتاب ولا سنة ويلبس له جبة ويرخي له عذبة
ثم يسافر الى بلد الروم مثلا فيظهر الصمت والجوع فيطلب له مرتبا
من الجوالي ومسموح ويتوسل بالوزراء في ذلك فربما رتبوا له شيئا
فصار يأكل منه حراما في بطنه لكونه اخذه بنوع تلبيس على الولاة
واعتقادهم فيه الصلاح ومن اخلاقهم توقفهم على كل فعل او قول
حتى يعرضوا ميزانه على الكتاب والسنة والعرف لانه من جملة الشريعة
قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف فعلم ان القوم لا يكتفون في اقوالهم وافعالهم
بمجرد عمل الناس لاحتمال ان يكون ذلك الفعل او القول من جملة البدع
التي لا يشهد لها كتاب ولا سنة لا تقوم الساعة حتى تصير السنة

في الحديث صح

بدعة

بدعة فاذا انكرت البدعة يقولون الناس تركت السنة انتهى وقد كان السلف
الصالح يحثون اصحابهم على التقيد بالكتاب والسنة واجتناب البدع و
يشددون في ذلك حتى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما كان يهم بالامر
ويعزم عليه فيقول له شخص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل
ذلك فيرجع عما كان عزم عليه رضي الله عنه وهم مرة ان يأمر الناس
بنزع ثياب كانت عليهم لما بلغه انها تصبغ ببول العجائز فقال له شخص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس منها ولبسها الناس في عصره
فاستغفر الله ورجع وقال في نفسه لو كان عدم لبسها من الورع لما
لبسها صلى الله عليه وسلم انتهى وكذلك بلغنا ان الامام زين العابدين
رضي الله عنه قال لولده اتخذ لي ثوبا البسه عند قضاء الحاجة وانزعه
وقت شروعي في الصلاة فاني رأيت الذباب يجلس على النجاسة ثم يقع
على ثوبي فقال له ولده انه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوب
واحد لخلائه ولصلاته فرجع الامام عما كان عزم على فعله قلت المنقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن الذباب ينزل على ثوبه ولا بدنه
فلا يصلح ما ذكره دليلا الا ان قال له ولده ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يأمر احدا بذلك فليتأمل واما ما نقل عن ابي يزيد البسطامي انه
كان له ثوب لخلائه وثوب لصلاته فليس ذلك من حيث وقوع الذباب
كما وقع لزين العابدين وانما ذلك من باب ان لا يكون ثوب الخلا ثوب
الصلاة نظير ما قالوا في تحريم استقبال القبلة واستدبارها في الغائط
فطلب الشارع ان لا يكون جهة قضاء الحاجة هي جهة الوقوف في الصلاة
فافهم ومن اخلاقهم كثرة تفويضهم الى الله تعالى في امر انفسهم واولادهم

واصحابهم فلا يكون معولهم في امر هذا بينهم الا على الله تعالى ولا يطلبون
شيئا وبدا بانفسهم ويعايبون عن الاستغنا دالى الله تعالى فان فعلوا ذلك
فيا طرك نبههم وقد كان ولدي عبد الرحمن ليس له داعية الى طلب العلم
فكنت في حصر عظيم من جهته فالهمني الحق تعالى ان افوض امره اليه ففوضت
واصبح من تلك الليلة يطالع في العلم بنفسه من غير امري له بذلك و
وحصلت عنده حلاوة العلم من تلك الليلة وصار فهمه يرجح على فهم
من سبقه الى الاشتغال بسنين فاراحني الله تعالى الله بعفو بعضي اليه
من التعب الذي كنت فيه فالله يجعلنا من العلماء العاملين بما علموا امين
ومن علاماتهم كثرة اخلاصهم في علمهم وعملهم وخوفهم من دخول الريا ٨
في ذلك رضي الله عنهم ونبسط لك يا اخي هذا المحل لشدة حاجة الناس
الى العلم والعمل والاخلاص فاقول وبالله التوفيق ثبت في الاحاديث
الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله عز وجل
جنة عدن خلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا ثم
قالت انا حرام على كل بخيل ومرائي وكان وهب بن منبه رضي الله
عنه يقول من طلب الدنيا بعمل الاخرة نكس الله قلبه وكتب اسمه
في ديوان اهل النار وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول كان
عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من عمل بما علم كان وليا لله حقا
وكان سفيان الثوري يقول قالت لي والدتي يا بني لا تتعلم
العلم الا اذا عملت بالعلم اي نويت العمل به والا فهو وبال عليك
يوم القيمة وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول في مقابلة

لنفسه

بنفسه ومتحكين بكلام الصالحين القائلين لما يعملون وتفعلين فعل الفاسقين
المنافقين المرائين والله ما هذه صفات المخلصين وكان ابو السائب
رضي الله عنه اذا طرقه بكا في سماع قران او حديث او غيرهما يصرفه الى التبسم
وكان ابرهيم بن ادهم يقول لا تسال اخاك عن صيامه فان قال انا صائم
فرحت نفسه بذلك وان قال انه غير صائم حزنت نفسه وكلاهما من علامات
الريا وفي ذلك فضيحة للمسؤل واطلاع على عورة من التسائل وكان حاتم
الاصم يقول لا يعجبن لتحقيقهم العلم وتلبسنا بحبه الا جامع للدنيا او جاهل بما عليه
في ذلك من الواجبات وكان عبد الله بن عباس مع جلالته اذا فرغ من تفسير
القران يقول اختموا مجالسنا بالاستغفار وكان ابن وهب يقول سالت
الامام مالك عن الراسخين في العلم من هم فقال من عملوا بعلمهم وكان الحسن البصري
يقول العلماء سرج الازمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره
ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم وكان الشعبي يقول من ادب العلماء
اذا علموا ان يعملوا فاذا عملوا اشتغلوا بذلك عن الناس فاذا اشتغلوا فقدوا (واذا فقدوا)
طلبوا واذا طلبوا هربوا خوفا على دينهم من الفتن ثم يقول ورد في الحديث
اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وكان يقول ايضا ورد في
الحديث انه سياتي على الناس زمان يكون عبادهم جهالا وعلماؤهم فساقا
وكان عبد الله بن مسعود يقول من افتى الناس في المشكلات من غير
تربص وتامل فقد عرض نفسه لدخول النار وكان يقول من افتى الناس
في كل ما يسالونه فهو مجنون وكان الحسن البصري يقول لا تكن ممن يجمع
علم العلماء ويجري في العلم مجرى السفهاء وقال بلغنا ان عيسى عليه السلام
كان يقول ما اكثر العلوم وليس كلها بنافع وما اكثر العلماء وليس كلهم برشيد

وكان ابراهيم بن عيينة يقول اطول الناس حسرة يوم القيمة عالم نفع الناس بعلمه ولم ينتفع به
على الناس وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اخوف ما اخاف على
هذه الامة من عالم باللسان جاهل بالقلب وكان سفيان الثوري رحمه الله
يقول يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وكان عبد الله بن المبارك
يقول لا يزال المرء عالما ما دام يطلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وينبغي ان لا يكون في بلد فيه من هو اعلم منه فانه يتلقى انتصار
اعلمهم فقد جهل وكان الفضيل بن عياض يقول اني لا بكي على من لا يرغب
الدنيا تغلب به وكان يقول لو كان لاهل الحديث والقران صبر على الزهد
في ما تمندل بهم الناس واسرافنا من ان يقال فلان العالم او العابد وقد
حاجا في نفقة فلان الفاجر وكان يحيى بن معاذ يقول اذا طلب العالم الدنيا
ذهب بهاؤه وكان الحسن البصري يقول عقوبة العلماء ان تكون موت
قلوبهم وموت قلوبهم ان يطلبوا بعمل الاخرة فيتقربون
بذلك عند الامراء وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رايتم العالم يغشى
ابواب الامراء فهو لص وكان الاوزاعي رحمه الله يقول ما من شيء ابغض
الى الله من عالم يزور عاملا وكان مكحول يقول من قرا القران وتفقه
في الدين ثم مشى الى بيت امير لغير ضرورة فقد خاض في جهنم بعدد خطاه
وكان مالك بن دينار يقول قرات في بعض الكتب المنزلة ان اهون ما
انا صانع بالعالم اذا طلب الدنيا بعلمه ان احرمه لذيذ مناجاتي وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه
في دينه فان كل محب يخوض فيما احب وكان الحسن البصري يقول اعجبا
من السنة تصف وقلوب تعرف واعمال تخالف وكان حاتم الاصم يقول
من اشقى الناس يوم القيمة عالم عمل الناس بعلمه ولم يعمل هو به وكان

ابراهيم التيمي رضي الله عنه يقول ما عرضت قولي على عملي الا وجدت عملي مكذبا
لقولي وكان ابراهيم بن ادهم يقول لقد اعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في العمل
فلم نعرب وكان الاوزاعي يقول اذا جاء الاعراب في الالفاظ ذهب الخشوع
الخشوع من القارئ والسامع وكان سفيان الثوري يقول بلغنا ان عيسى عليه
السلام كان يقول مثل من يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت سرا
فحملت فظهر حملها فافتضحت وكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيمة
على رؤس الاشهاد وكان فضيل بن عياض يقول خير العلم والعمل ما خفي
عن الناس وكان عكرمة يقول ما رايت اقل عقلا ممن يعلم من نفسه
السوء ويحب ان يمدحه من الناس بالعلم والصلاح ولا بد لقلوب المؤمنين ان
تطلع على سوء سريرته ومثاله مثل من غرس شوكا وطلب ان يحمل له رطبا
وكان قتادة يقول اذا راى العالم بعلمه وعمله يقول الله عز وجل للملائكة
انظروا الى هذا يستهزئ بي ولم يخش مني وانا العظيم العزيز الجبار وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب بالدرة من يراه يطاطئ رقبته في الصلاة
ويقول له ويحك انما الخشوع في القلب ومر ابو امامة على شخص ساجد
وهو يبكي فقال نعم هذا لو كان في بيتك حيث لا يراك الناس وكان
بن عياض يقول من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الى وكان ابراهيم يقول اذهم مررت
بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر قال فقلبته فاذا فيه مكتوبا انت بما تعلم
لا تعمل فكيف تطلب الزيادة من العلم وكان يوسف ابن اسباط يقول
اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء قل لقومك يخفوا اعمالهم عن الخلق
وانا اظهرها لهم وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته من اسوا حالا مني
عاملت عبادك في الظاهر بالامانة وعاملتك في السر بالخيانة وكان

ميمون بن مهران يقول ان علما بغير عمل مثله كمثل كنيف من خارجه خارج
وكان الفضيل بن عياض يقول لو صحت النية في العلم لم يكن عمل افضل منه
ولكنهم تعلموه لغير العمل به وجعلوه شبكة يصطادون به الدنيا الشهي
ودخل سفيان الثوري يوما على الفضيل فقال عظني يا ابا علي فقال الفضيل
ماذا اعظك معاشر العلماء كنتم سرجا يستضاء بكم في البلاد فصرتم ظلمة
وكنتم نجوما يهتدى بكم في ظلمات الجهل فصرتم حيرة يأتي احدكم الى هؤلاء
الولاة فيجلس على فرشهم ويأكل من طعامهم ويقبل هداياهم ثم
يدخل بعد ذلك المسجد فيجلس فيه ثم يقول حدثنا فلان عن فلان
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما هكذا يطلب العلم فبكى سفيان
وخرج وكان الفضيل بن عياض يقول اذا رايتم العالم والعابد ينشرح
لذكره بالصلاح عند الامراء وابناء الدنيا فاعلموا انه مراء وكان سفيان
بن عيينة يقول اذا رايتم طالب العلم كلما ازداد علما ازداد رغبة في الدنيا و
شهواتها فلا تعلموه فانكم تعينونه على دخول النار بتعليمكم اياه وكان
كعب الاحبار يقول سياتي على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ثم يتغايرون
به على القرب من الامراء كما يتغاير الرجال على النساء فذلك حظهم من
علمهم وكان صالح المري رضي الله عنه يقول من ادعى الاخلاص في
العلم فليعرض على نفسه ذم وصفه الناس بالجهل والرياء فان انشرح صدره
لذلك فهو صادق وان انقبض من ذلك فهو مراء وكان يقول احذروا
عالم الدنيا ان تجالسوه فانه يفتنكم بزخرفة كلامه ومدحه للعلم واهله
من غير عمل به وكان الفضيل بن عياض يقول من علامة قطاع الدين
بعلمهم ان يكون علمهم كالجبال وعملهم كالذر وكان يقول لو ان حامل العلم

عمل به

على من يتضرع من بيته ولم يفرح به لانه كلما ازداد علما ازدادت تكاليفه شقي
للعالم ان يفرح بعلمه الا بعد مجاوزة الصراط وكان سفيان الثوري يقول
اطلبوا العلم للعمل فان اكثر الناس قد غلطوا في ذلك فظنوا النجاة بعلمهم
من غير عمل به واين الآيات والاخبار الواردة في تعذيب من لم يعمل بعلمه
وكان ذو النون المصري يقول ادركنا الناس واحدهم كلما ازداد علما
ازداد في الدنيا رغبة وكثرة لامتعة من لباس ومطعم ومنكح ومسكن
ومركب وخادم ويجوز لك وكان سفيان الثوري يقول كيف يكون حامل القرآن
عاملا به وهو ينام الليل ويفطر النهار ويتناول الحرام والشبهات وكان عمر بن
عبد العزيز يقول لو ان هؤلاء القراء احياء لوجدوا الم النار في بطونهم
اذا اكلوا الحرام ولكنهم اموات تحولت في جيفة في النتن وكان منصور بن
المعتمر يقول لعلماء زمانه لستم بعلماء وانما انتم متلذذون بالعلم يسمع
احدكم المسئلة ويحكيها للناس ولو انكم عملتم بعلمكم لتجرعتم المرارات و
الغصص ويحثكم علمكم على التورع حتى لا يجد احدكم رغيفا ياكله وكان
الربيع بن خثيم يقول كيف يصح للعالم ان يراعي بعلمه وهو يعرف ان تعلمه
لغير الله وذلك حابط وكان الامام النووي اذا دخل عليه امير على غفلة
وهو يدرس العلم في المدرسة الاشرفية او جامع بني امية يتكدر لذلك واذا
بلغه ان احدا من الاكابر قد عزم على زيارته في يوم درسه لا يدرس
العلم ذلك اليوم خوفا ان يراه ذلك الامير وهو في محل محفله ودرسه
العظيم ويقول ان من علامة المخلص ان يتكدر اذا اطلع الناس على محاسن
عمله كما يتكدر اذا اطلعوا عليه وهو يعصي ربه فان فرح النفس بذلك
معصية وربما كان الرياء اشد من كثير من المعاصي وكان الحسن البصري

ازداد زهدا في الدنيا وتقللا حتى متاعها وترى احدهم اليوم كلما ازداد علما ازداد

يقول قبح بالعالم ان يشبع في هذا الزمان من الحلال فكيف بمن يشبع من
الحرام والله اني اود لو اكلت اكلة فصارت في بطني كالاجرة فتكيني
حتى اموت فقد قيل انها تمكث في الماء اكثر من ثلاثمائة سنة وكان
يقول ورع العلماء انما يكون في ترك تناول الشبهات اما المعاصي الظاهرة
فتراهم يتركونها خوفا ان تذهب عظمتهم من قلوب الناس وكان
يقول بلغني انه ياتي في اخر الزمان رجال يتعلمون العلم لغير الله كي لا يضيع
ثم يكون عليهم تبعه يوم القيمة انتهى قلت ويؤيده في الحديث ان الله
ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر والله اعلم وكان بكر بن عبد الله المزني
رضي الله عنه يقول من علامة المرائي بعلمه ان يرغب الناس في العلم ويذكر
لهم ما فيه من الفضيلة ثم اذا شاوره احد من الفقراء في على احد من اقرانه
لا يرغبه فيه كل ذلك للترغيب وكان عبد الله بن مبارك يقول قد
غلب على الفقها في هذا الزمان اكل الحرام والشبهات حتى غرقوا في شهوات
بطونهم وفروجهم واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا
وكان الفضيل بن عياض يقول لولا نقص دخل على اهل القران و
الحديث لكانوا خيار الناس ولكنهم اتخذوا علمهم حرفة ومعاشا و
لذلك تاهوا في ملكوت السموات والارض وكان بشر الحافي يقول من عقل
العاقل ان لا يطلب زيادة العلم الا اذا عمل بكل ما علم فيتعلم حينئذ العلم
كي يعمل به وكان الشعبي يقول اطلبوا العلم وانتم تبكون فانه كله حجة
عليكم عند ربكم ولما ترك بشر الحافي الجلوس لاملاء الحديث قالوا له
ماذا تقول لربك يوم القيمة فقال اقول يا رب امرتني فيه بالاخلاص
ولم اجد نفسي اخلاصا وكان سفيان الثوري يقول اذا رايتم طالب العلم

يطلب

يطلب الزيادة من العلم دون العمل فلا تعلموه فان من لا يعمل بعلمه كشجر
الحنظل كلما ازداد ريا بالماء ازداد مرارة وكان يقول اذا رايتم طالب
العلم يخلط في مطعمه وملبسه وغيرهما ولا يتورع فكفوا عن تعليمه
تخفيفا للحجة عليه يوم القيمة انتهى وكان الحسن البصري يقول لو ان
عبدا علم العلم كله وعبد الله حتى صار كهذه السارية او الشن البالي ثم
لم يفتش ما يدخل جوفه احلال هو ام حرام ما تقبل الله منه عبادة وكان
بشر الحافي يقول والله لقد ادركنا اقواما كانوا لا يعلمون احدا العلم حتى
يروضوا نفسه سنين كثيرة ويظهر لهم صلاح نيته وكان عبد الرحمن
بن القاسم يقول خدمت الامام مالكا رضي الله عنه عشرين سنة فكان
ثمانية عشر منها في تعليم الادب وسنتان منها في تعليم العلم فياليتني
جعلت المدة كلها في الادب وكان الامام مالك رضي الله عنه يقول
ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم ما نفع وعمل به صاحبه وقال الامام
الشافعي رضي الله عنه قال لي مالك رحمه الله يا محمد اجعل ادبك دقيقا
وعملك ملحا وكان عبد الله بن المبارك يقول من حمل القران ثم مال
بقلبه الى الدنيا فقد اتخذ ايات الله هزوا ولعبا وكان يقول ايضا اذا عصى حامل
القران ناداه القران من جوفه والله ما لهذا حملت اين مواعظي و
زواجري وكل حرف مني ينادي ويقول لا تعص ربك وكان الامام
احمد اذا راى الطالب لا يقوم من الليل يكف عن تعليمه وبات عنده
ابو عصمة ليلة من الليالي فوضع له الامام احمد ماء للوضوء ثم جاءه قبل
الفجر فوجده نائما والماء بحاله فايقظه وقال له لم جئت فقال اطلب
الحديث فقال كيف تطلب الحديث وليس لك تهجد في الليل اذهب من حيث

وكان

جنتا لامام الشافعي رضي الله عنه يقول ينبغي للعالم ان يكون له خبية
من عمل فيما بينه وبين الله تعالى فان كل ما ظهر للناس من علم او عمل قليل
النفع في الاخرة وقد روى الامام ابو حنيفة بعد وفاته فقيل له ما
فعل الله بك فقال غفر الله تعالى لي فقيل له بالعلم فقال هيهات ان للعلم
شروطا وافات قل من ينجوا منها ورأى ابو القاسم الجنيد بعد وفاته فقيل
له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات
وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها في السحر ورأى ابو سهل الصعلوكي بعد
موته فقيل له ما صنع علمك فقال كلما كان دقائق العلوم وجدته هباء
منثوراً الا بعض مسائل سالني عنها العوام انتهى ففتش يا اخي نفسك
في علمك وعملك وابك على نفسك ان رايت عنده ما ربا او سمعة مما
يهلك عليه هؤلاء السادة من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين والحمد
لله رب العالمين وكان سفيان الثوري يقول ادركنا العلماء وهم بروا جلوسهم
في بيوتهم افضل فضلا دوا اليوم وترآء الامرآء وقبها دمة الظلمة وسئل عطا
ابن ابي رباح عن شخص يكتب بقلمه عند الامرآء لا يجاوز ما يجعلونه له
من الرزق فقال ارى ان يترك ذلك اما سمع قول موسى عليه الصلاة والسلام
رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين وفي الحديث يخرج في اخر الزمان اقوام
في اخر الزمان يختلون اي يطلبون الدنيا بعمل الاخرة اي الدنيا بالدين يلبسون
جلود الضان من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول
الله عز وجل ابي يغترون ام علي يجترون فبي حلفت لا بعثن على اولئك
فتنة تدع الحليم فيهم حيران انتهى وكان ابراهيم التيمي يلبس لبس الفتيان
فكان لا يعرف احد انه من العلمآء الا اصحابه وكان يقول المخلص من يكتم حسناته

كما يكتم

كما يكتم سيئاته وقال ابن سيرين كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم
الحسن ان الرجل ليخرج في ادب نفسه السنتين ثم السنتين وقال سفيان بن
عيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزان الاكبر وعليه تعرض الاشياء
على خلقه وسيرته وهديه فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو باطل وقال
حبيب بن الشهيد لابنه يا بني اصحب الفقهاء والعلمآء وتعلم منهم وخذ من
ادبهم فان ذلك احب الي من كثير الحديث وقال بعضهم لابنه يا بني لان تتعلم
بابا من الادب احب الي من ان تتعلم سبعين بابا من العلم وقال مخلد بن الحسين
لابن المبارك نحن الى كثير من الادب احوج منا الى كثير من الحديث وقيل
للشافعي رضي الله عنه كيف شهوتك الادب فقال اسمع بالحرف منه مما لم
اسمعه فتود اعضائي ان لها اسماعا تتنعم به قيل وكيف طلبك له قال
طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره وقد روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم من طلب العلم ليماري به السفهاء او يكابر به العلماء او يصرف به
وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار وروى من تعلم علما مما يبتغى
وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف يوم القيمة
وعن حماد بن سلمة من طلب الحديث لغير الله تعالى مكر به وعن بشر اوحى الله
تعالى الى داود لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا فيصدك بسكره عن محبتي
اولئك قطاع الطريق على عبادي واعلم ان جميع ما ذكرنا في ذمية علماء
السوء الذي من طلبه بسوء نية خبث طوية او الاغراض دنيوية من جاه
ومال او مكابرة في الاتباع والطلاب واما في فضل العلم والعلمآء نزل الاية
وورد الاخبار والاثار بلا عدد ولا احصاء بهم الذين العالمون العاملون
الابرار المتقين الذين قصدوا به وجه الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم

وتركوا الدنيا واحترزوا من الشبهات واختاروا الزهد والورع والتقوى
واشتغلوا العلم الظاهري والباطني مع شغل الانفس في الرياضات والمجاهدات
كما سنذكر اخلاقهم في جميع الامور ستسمع الحبة قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم علمان علم الظاهر وعلم الباطن الى اخره ايضا قال العلماء ورثة الانبياء
وايضا قال علماء امتي كانبياء بني اسرائيل والعلوم الذي يورث من النبي ياخذ
من ظاهره وباطنه كما ان الوارث ياخذ على المال واد ثاه وايضا من الظاهر
ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم من ورثة العلماء هي العلماء لا غير ومن الانبياء
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وورثاه علماء امته ياخذ من ماله وهو العلم
لان بعد النبي صلى الله عليه وسلم ما بقي شيء من مال الدنيا حتى يورث الوارث
ولو فرضنا بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم الشيء من مال الدنيا ولكن ما يورث
علماء الاجنبي من حيث النسب لان الذي ياخذ الارث لا يكون الا من نسب
الاصلي الا من الاجنبي الحاصل لفظ العلماء اعم يصدق على علماء الاجنبي
وعلماء الذي من النسب الاصلي ان كانوا علماء وصفناهم من الظاهر والباطن
وان لم يكن كذلك لا يصدق على كل واحد منهم ولو كان من نسب الاصلي
خارج من طريقه وسنته صلى الله عليه وسلم وثبت ان علماء الوارثون هم
هم الراسخون في العلم لا شك في ذلك يدل على ذلك اشارة النبي صلى الله
عليه وسلم في جواب موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على الغزالي
الذي ذو الجناحين من الظاهر والباطن رحمه الله تعالى لا على صاحب الجناح
من جهة واحدة بلا يصدق قوله صلى الله عليه وسلم الورثة على الذين
كشف الغطاء عن بصيرتهم وتشرفوا مع العلم اللدني ولو كانوا في الظاهر
امي كالشبلي رحمه الله وقد حكي ان فقيها من اكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب

حلقة

حلقة الشبلي في جامع المنصور وكان يقال له لذلك الفقيه ابو عمران
وكان يتعطل عليهم حلقتهم لكلام الشبلي فسال اصحاب ابو عمران يوما الشبلي
عن مسئلة في الحيض وقصد والخجالة فذكر مقالات الناس في تلك المسئلة
والخلاف فيها فقام ابو عمران وقبل راس الشبلي فقال يا ابا بكر استفدت
في هذه المسئلة عشرة مقالات لم اسمعها وكان عندي من جملة ما قلت
ثلثة اقاويل وكان احمد بن حنبل عند الشافعي رضي الله عنهما فجاء شيبان
الراعي فقال احمد اريد يا ابا عبد الله ان انبه هذا على نقصان علمه
ليشتغل لتحصيل بعض العلوم فقال الشافعي لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان
ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري
اي صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان يا احمد هذا قلب غفل عن الله
تعالى فالواجب ان يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه فغشي على احمد فلما
افاق قال له الشافعي رحمه الله الم اقل لك لا تحرك هذا وشيبان الراعي كان
اميا منهم فاذا كان الامي منهم هكذا فما الظن بائمتهم وقيل احتاز ابو
العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد رحمهما الله فسمع كلامه فقيل له
ما تقول في هذا فقال لا ادري ما يقول ولكني ارى لهذا الكلام صولة
ليست بصولة مبطل وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب انت تتكلم على
كلام كل احد وههنا رجل يقال له الجنيد فانظر هل تعترض عليه ام لا
فحضر حلقته فسال الجنيد عن التوحيد فاجابه فتحير وقال اعد علي ما
قلت فاعاد ولكن لا بتلك العبارة فقال عبد الله هذا شيء آخر لم احفظه
تعيد علي مرة اخرى فعاد بعبارة اخرى فقال عبد الله ليس يمكن
حفظ ما تقول امل علينا فقال ان كنت اجريه فانا امليه فقام عبد الله

وقال بعضهم واعترف بعلو شانه فاذا كان اصول هذه الطائفة اصح
الاصول ومشايخهم اكبر الناس وعلماء وهم اعلم ولقد سمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الشبلي يقول ما
ظنك بعلم العلماء فيه تهم انتهى وسمعت يقول محمد بن ابو علي الجرجاني يقول
سمعت محمد عبد الله الفرغاني يقول سمعت الجنيد يقول لو علمت
ان لله علما تحت اديم السماء اشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع اصحابنا
واخواننا لسعيت اليه ولقصدته كما قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال ابن عباس العلماء فوق المؤمنين بسبع
مائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام وقال الله تعالى شهد الله انه لا
اله الا هو والملائكة واولوا العلم الاية بدأ سبحانه بنفسه وثنى
بالملائكة وثلث باهل العلم وكفاهم ذلك شرفا وفضلا وجلالة ونبلا
وقال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى
بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وقال تعالى اولئك هم خير البرية الى قوله ذلك لمن خشي ربه
فاقتضت الايتان ان العلماء هم الذين يخشون وان الذين يخشون الله هم
خير البرية فصح ان العلماء خير البرية فالعلماء هم الذين يعلمون بما يشاهدون
في اعيانهم الثابتة فان الخشية منحصرة في من يعلم الذي لا يعلم ماله
الخشية وليس يكون من العلماء لان ذكره بكلمة انما فينتفي العلم عمن
لا يخشى الله كما قالوا انما يدخل الدار بغدادي فينتفي دخول البغدادي
الدار الا ترى شخص واقف بين يدي السلطان يخشى ان يظهر منه خلاف

رضا

رضاء السلطان بخلاف قطاع الطريق لانهم يخافون على رضاء السلطان
بسبب عدم حضورهم اليه وكذلك العلماء الذين غافلون عن الله و
يرتكبون على غير رضاء الله بخلاف العارفون بالله عز وجل يخشون الله
منهم غيبا خلاف رضاء الله بسبب حضورهم اليه تعالى وقال ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه ليس العلم بكثرة الروايات انما العلم خشية عز وجل وظهر
ان العلم علمان علم الباطن وعلم الظاهر والعلم الظاهر كالفقهاء والعلم
الباطن كالبحر كان ترجمان القران عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول
اني لا اعلم في قوله يتنزل الامر بينهن ما لو قلته لكفرتموني وكان ايضا
ابو هريرة رضي الله عنه يقول اخذت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم جرابين من العلم جرابا القيته اليكم وجرابا لو ابديته لكم لرجمتموني
وكذلك علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ان بين جنبي علما لو قلته
لكم لخضبتم هذه من هذه وقال ايضا اني لاكتم من علمي جواهر كيلا يرى الحق
ذو جهل فيفتننا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد
الوثنا ولاستباح رجال مسلمون دمي وكان اقبح ما ياتونه حسنا
وقال بعضهم انما في قلبي لو يلقى ذرة على الجبال الارض لذابت وقال النبي صلى الله
عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وحسبك بهذه الرتبة شرفا وذكرا
وبهذه الدرجة مجدا وفخرا فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف
فوق شرف وارث تلك الرتبة وان العلماء ورثة وان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر كما ذكرنا
تفصيلا وعنه صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين وفي حديث

يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وروى ان العلماء يوم القيمة
على منابر من نور قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب العلم والعلماء لم تكتب
عليه خطيئة ايام حياته وقال ايضا من اكرم عالما فكانما اكرم سبعين
نبيا ومن اكرم متعلما فكانما اكرم سبعين شهيدا وانه قال ايضا من صلى خلف
عالم فكانما صلى خلف نبي ومن صلى خلف نبي غفر له وعنه صلى الله عليه وسلم
ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين ولفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين عنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر عنده رجلان احدهما عابد و
الاخر عالم فقال فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا عنه صلى الله
عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك به طريقا من طرق الجنة و
ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم لرضى الله وعنه صلى الله عليه وسلم
وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في جوف
الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وعنه صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيمة مداد العلماء ودم الشهداء
وعنه صلى الله عليه وسلم من عظم العالم فانما يعظم الله تعالى ورسوله
ومن تهاون بالعالم فانما ذلك استخفاف بالله تعالى ورسوله وقال علي رضي الله
كفى بالعلم شرفا ان يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى
بالجهل ذما ان يتبرأ منه من هو فيه وكان بعض السلف خير المواهب
العقل وشر المصائب الجهل وقال ابو مسلم الخولاني العلماء في الارض مثل النجوم
بالسماء اذا بدت للناس اهتدوا بها واذا خفيت عنهم تحيروا وقال معاذ
رضي الله عنه تعلموا العلم فان تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح

والبحث

والبحث عنه جهاد وبذله قربة وتعليمه من لا يعلمه صدقة وقال الفضيل
بن عياض عالم معلم يدعى كبيرا في ملكوت السموات وقال سفيان بن عيينة
ارفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الانبياء
والعلماء وقال ايضا لم يعط احد في الدنيا شيئا افضل من النبوة وما بعد
النبوة شيء افضل من العلم والفقه فقيل عمن هذا قال عن الفقهاء كلهم و
وقال سهل من اراد النظر الى مجالس الانبياء فلينظر الى مجالس العلماء فاعرفوا
هم بذلك وقال الشافعي رضي الله عنه ان لم يكن الفقهاء العاملون
اولياء الله فليس لله ولي وعن ابن عمر مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة
وعن سفيان الثوري والشافعي رضي الله عنهما ليس بعد الفرايض افضل
من طلب العلم وعن الزهري رحمه الله ما عبد الله بمثل الفقه وعن ابي ذر وابي
هريرة رضي الله عنهما لباب من العلم نتعلمه احب الينا من الف ركعة تطوعا
وباب من العلم نعلمه عمل به او لم يعمل احب الينا من مائة ركعة تطوعا وقد
ظهر بما ذكرناه ان الاشتغال بالعلم لله مع خلوص النية افضل من نوافل
العبادات البدنية من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك لان نفع
العلم يعم صاحبه والناس والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها ولان
العلم مصحح لغيره من العبادات فهي تفتقر اليه وتتوقف عليه ولا يتوقف
هو عليها ولان العلماء ورثة الانبياء عليهم السلام وليس ذلك للمتعبدين
لان طاعة العالم واجبة على غيره فيه ولان العلم يبقى اثره بعد موت صاحبه
وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها ولان في ابقاء العلم احياء الشريعة
وحفظ معالمها واعلم ان جميع ما ذكرناه من فضل العلم والعلماء انما هو
في حق العلماء العاملين الابرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله الكريم

والثوري اذ هو في جنات النعيم لايمن طلبه بسوء نية او بخبث طوية او لاغراض الدنيوية من جاه ومال او مكابرة في الاتباع والتطلاب وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وحماد بن سلمة طلب الحديث لغير الله مكر وعنه صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليماري به السفهاء او يكاثر به العلماء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوء مقعده من النار ويا اخي يكفيك هذا المقدار في فضل العلم ومضرته اما في زماننا هذا مضرته اكثر من نفعه لان الفقير اكثرين من الطالب والعالم لقيتهم ما وجدت واحدا منهم يريد العلم على وجه الله تعالى بل وجدتهم لغرض من اغراض الدنيا مثل العز والفضل بين الناس فاحذر بنفسك من سوء النية لان سمعت كلام السلف الصالح كيف يجاهدون ويزهدون في الدنيا مع هذا يعجزون من اداء شرائط العلم معترفون ان في علومهم لانفع فيهم لعدم اداء الشرائط كما ذكر من امام ابي حنيفة رضي الله عنه وقد روي بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك غفر الله تعالى فقيل له بالعلم فقال هيهات ان للعلم شروطا وافات قل من ينجو منها ورأى ابو سهل الصعلوكي بعد موته فقيل ما صنع الله بك فقال كل ما كان من دقائق العلوم وجدته هباء منثورا فانظر الى احوال السلف امام ابو حنيفة اعظم الائمة ما نام اربعين سنة صلى صلاة الصبح مع وضوء العشاء وكان وروي من اكثر التابعين ما راينا في الزهد مثل امام ابي حنيفة كما ذكر في تنبيه المغترين للامام شعراني الشافعي وكان من خلقه اختلاط الصبيان والجلوس مع المساكين ما رأى شيء ادنى من نفسه بالغ في التواضع الى النهاية واحسانه وكرمه على الفقراء لايعد ولايحاسب فلما توفي خرج من بيته حصير وسجادة يصلي عليها وابريق للوضوء خاصته

كما ذكر

كما ذكر في تنبيه المغترين هذه ما ذكرناه ذرة من زهده وانظر الى كلامه في عدم نفع العلم فاعتبروا يا ولي الابصار قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث الاية قال تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله الاية فانظر رحمك الله كيف شبه حال العلماء الذين لم يعملوا على وفق علمهم بالحمير والكلاب وذلك في الخسة والمهانة والا فالكلاب والحمير خير منهم لانهم لا يصيرون غدا الى الثواب وهم الى اشد الخزي والعذاب وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا ما شئتم فوالله لا يقبل منكم حتى تعملوا به وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزد زهدا لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه فيقولون يا فلان ما شانك الست كنت تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن الشر واتيه وقال صلى الله عليه وسلم الزبانية اسرع الى فسقة القراء منهم الى عبدة الاوثان فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الاوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم وفي حديث ان اناسا من اهل الجنة يطلعون الى اناس من اهل النار فيقولون بم دخلتم النار والله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل قال رجل لسفيان الثوري لو انك نشرت ما معك من العلم حوت

ان ينفع الله به بعض عباده وفوجز عليه فقال سفيان والله لو اعلم الذى
يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت انا الذى اتيه فى منزله
فاعلمه لما عندى مما ارجوا ان ينفعه الله به وقال ابن عباس فى شرحه على
الحكم نقلا عن لطائف المنن فشاهد العلم الذى هو مطلوب لله الخشية
لله وشاهد الخشية موافقة الامر اما علم لا تكون معه الرغبة فى الدنيا
والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهات
والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد هذا العالم من ان
يكون من ورثة الانبياء وهل ينقل الشئ الموروث الى الوارث الا با
الصفة التى كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف وصفهم
من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وتحرق نفسها انتهى وقال فى
النصائح الدينية بعد ان ذكر شيئا من الايات والاخبار الواردة فى فضل
العلم والعلماء واعلم ان العالم الذى لا يعمل بعلمه مسلوب الفضيلة فلا
ينبغى له ان يغتر بما ورد عن الله وعن رسوله فى فضل العلم ويوهم نفسه
انه داخل فى ذلك بمجرد العلم من غير عمل وانما صار العالم بتلك المنزلة
الرفيعة عند الله لما فيه من المنفعة العامة لجميع عباد الله واذا لم ينتفع
العالم بعلمه فى نفسه فكيف ينتفع به غيره فاعرف من هذا بطلان الفضيلة
فى حق من يعلم ولا يعمل وقد كان عليه السلام يستعيذ بالله من علم لا ينفع
وقلب لا يخشع وليس عند العالم الذى لا يعمل بعلمه الا مجرد صورة العلم
ورسمه دون معناه وحقيقته كما قال بعض الصحابة رضى الله عنه
العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل اعنى يرتحل منه روحه ونوره
وبركته واما صورته فلا ترتحل بل تبقى مؤكدة للحجة على العالم السوء

الاثرى

الاثرى صورة العلم فى بعض الروافضه والغلاة والفلاسفة وفى بعض اليهود
والنصارى يحصلون علم الفقه والحديث والتفسير لاطلاع على احكام
الاسلام ويحصل لهم صورة العلم لا ينفع لعدم العمل بها بل يكون سببا لهم
على عذاب اليم فى يوم القيمة انتهى وقال فيها ايضا اعلم رحمك الله ان للعالم
العامل بعلمه المحمود عند الله وعند رسوله من علماء الدين وعلماء الاخرة
علامات وامارات تفرق بينه وبين العالم المخلط عند الله ورسوله من علماء
اللسان المتبعين للهوى المؤثرين للدنيا على العقبى فمن علامات العالم المحمود
من علماء الاخرة ان يكون خاشعا متواضعا لله خائفا وجلا مشفقا من خشية
الله زاهدا فى الدنيا قانعا باليسير منها منفقا للفاضل عن حاجته مما فى
يده ناصحا لعباد الله شفيقا عليهم رحيما بهم آمرا بالمعروف ناهيا عن
المنكر مسارعا فى الخيرات ملازما للعبادات دالا على الخير داعيا الى الهدى
ذا صمت وتؤدة ووقار وسكينة حسن الاخلاق واسع الصدر لين
الجانب مخفوض الجناح للمؤمنين لا متكبرا ولا متجبرا ولا طامعا فى الناس
ولا حريصا على الدنيا ولا مؤثرا لها على الاخرة ولا جامعا للمال ولا مانعا
له عن حقه ولا فظا ولا غليظا ولا مماريا ولا مجادلا ولا مخاصما ولا
قاسيا ولا سيئ الاخلاق ولا ضيق الصدر ولا مداهنا ولا مخادعا
ولا غاشيا ولا مقدما الاغنياء على الفقراء ولا مترددا الى السلاطين
ولا ساكتا عن الانكار عليهم مع القدرة ولا محبا للجاه والمال والاثاث
بل يكون كارها لذلك كله لا يدخل فى شئ منه ولا يلابسه الا من حاجة
او ضرورة وبالجملة فيكون متصفا بجميع ما يحثه عليه العلم ويأمره
به من الاخلاق المحمودة والاعمال الصالحة مجانبا لكل ما نهاه العلم عنه

من الاخلاق والاعمال المذمومة وهذه الاشياء التي ذكرناها في صفة
علماء الاخرة يجب ان يتحلى بها ويتصف بها كل من عين العالم ولاسيما
واحق وهي عليه اوجب واكد لانه علم به يهتدي واظلم به يقتدى فان
ضل وغوى واثر الدنيا على الاخرة كان عليه اثمه واثم من تابعه على
ذلك وان استقام واتقى كان له اجره واجر من تابعه على ذلك انتهى كلامه
في النتايج فتامل يا اخي ما ذكر وطالب نفسك بالعمل بما تعلم نسئل الله
تعالى ان يجعلنا من العلماء العاملين ومن عباده المخلصين انه ولي التوفيق
فقد علمت مما قدمناه في هذا النوع السابق فضل العلم والعلماء والوعيد
الشديد على ترك العمل بالعلم وهو كالتمهيد بهذا النوع والوسيلة اليه
وهذا هو المقصود بيان كلام المتقدم واعلم انه يجب على كل مسلم ومسلمة
تعلم العلم ولا رخصة في تركه لاحد من المسلمين والمراد بالعلم الذي لا
يصح الايمان والاسلام بدونه وهو العلم بالله ورسوله واليوم الاخر
والعلم بما اوجب الله فعله من الفرايض ومما اوجب تركه من المحارم ويشهد
لذلك قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
وقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين الصين اقليم بعيد من الهند
المواضع وقليل من الناس الذي يصل اليه لبعده قال العلماء رحمهم الله
ما وجب عليك عمله وجب عليك العلم به وقال ابن عباس رضي الله عنهما
كفاك من علم الدين ان تعرف ما لا يسعك جهله وفي الاثر من تعبد الله
بالجهل كان ما يفسد اكثر مما يصلح قال الغزالي في منهاج العابدين
اعلم ان العلوم التي طلبها في الجملة فرض ثلاثة علم التوحيد وعلم السر اعني
به ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة والذي يجب من كل واحد منها

فالذي

فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما تعرف به اصول الدين
وهو ان تعلم ان لك الها عالما قادرا حيا متكلما مريدا سميعا بصيرا وحدا
لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات الحدث منفردا
بالقدم على كل محدث وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق
فيما جاء به عن الله تعالى وفيما ورد على لسانه من امور الاخرة مثل ذلك
اما الذي يتعين فرضه من علم السر معرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل
لك التعظيم لله والاخلاص والنية وملازمة العمل واما من علم الشريعة
فكلما تعين عليك فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤديه كالطهارة
والصلاة والصوم واما الحج والجهاد والزكاة ان تعين عليك وجب عليك
علمها لتؤديها والا فلا فهذا حتما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة
ويتعين فرضه بحيث لا بد من ذلك انتهى وقال في النصايح الدينية
والحاصل انه يجب على المسلم ان يعلم بوجوب جميع الواجبات العينية
وبتحريم جميع المحرمات التي هو متهدف للوقوع فيها كالزنا واللواطة
وشرب المسكر وظلم الناس والسرقة والخيانة والكذب والغيبة واشباه
ذلك واما العلم بشروط البيع والشراء والمعاملات والنكاح فيجب
على من اراد الدخول في شي منها ان يعلم حكم الله فيها وما تصح به
وما تفسد به في ابتدائها وفي الدوام عليها كما يجب على من عنده ما يجب
فيه الزكوة العلم باحكامها وعلى من يستطيع الحج العلم باركانه وشرائطه
واشباه العلم بوجوبها فواجب على كل مسلم و كما يجب عليك ايضا ان
تعلم اهلك واولادك وكل من لك عليه ولاية فان لم تقدر ان تعلمهم
كان عليك وان تامرهم بالخروج الى اهل حتى يتعلموا منهم القدر والفرائض

منه والا اثمت واثموا واما الاتساع في العلوم الدينية النافعة والاكثار
منها والزيادة على قدر الحاجة فذلك من اعظم الوسائل الى الله تعالى
وافضل الفضائل عند الله ولكن مع الاخلاص من لوجه الله تعالى في طلب العلم
مع مطالبة النفس بالعمل بما تعلمه وتعليمه لعباد الله مراديا بذلك وجه
وجه الله تعالى والدار الاخرة وتلك المرتبة التي تلي مرتبة النبوة وجميع
مراتب المؤمنين انزل منها فان العلماء العاملين هم الواسطة بين رسوله
صلى الله عليه وسلم وبين المسلمين انتهى ملخصا من النصائح الدينية
ومنها ايضا وينبغي للعالم بامور الدين الظاهرة ان يضيف الى ذلك العلم
بالاخلاق الباطنة من صفات القلوب والعلم باسرار الاعمال ومقاصدها
والعلم بالوعد والوعيد الواقعين في الكتاب والسنة من ذكر ثواب المحسنين
وعقاب المسيئين فبذلك يتم امر العالم ويكمل النفع له والانتفاع به فان
هذه العلوم التي ذكرناها لا يتم بعضها بدون بعض وهي علوم السلف
الصالح يعرف ذلك من طالع سيرهم اما علم الباطن فلا قوام له بدون
الظاهر اما علم الظاهر فلا تمام له بدون الباطن واما علم الوعد والوعيد
فيهما من الترغيب في اقامة الاوامر والفضائل ومن الترهيب عن الوقوع
في المحارم والرذائل والايمان لا يزيد الا بهما واما علم المنطق والفلكيات
وغيرهما تحصيلها حرام بالاتفاق لا شك فيها لانها لا توجد في الكتاب
ولا في السنة ولا حصل منها شيئا السلف الصالح ولا عرفوا ولا تعلموا
قط انتهى في الدعوة التامة ومن العلماء المتسمين من تكون العلوم
التي هو مشتغل بها ومحصل لها ليست من علوم الدعوة الى الله والى
سبيله والتذكير به وبايامه والائه ولا بوعده ووعيده ومباحثها

يعد

بعد بعد نفسه عالما ويعده من هو في مثل حالة من الجهال وذلك مثل الذي
يكون اكثر علمه في دقايق الكلام والتعمق فيه ومجرد الفروع النادرة الوقوع
من الفقه والفتوى الكائنة بهذه المثابة ومثل الذي يكون علمه بمجرد علم
الالات اللغوية والادوات الادبية فهذه العلوم وامثالها ليست هي من
علوم الدعوة الى الله والى طريقه ولا المخوفة بلقائه ووعده ووعيده ولا
المحذرة من اضاعة امره وركوب نهيه وان كانت تعد من العلوم في
الجملة ولكنها ليست من العلوم النافعة للخاص والعام ولا التي تدعو اليها
حاجة الناس في دينهم وامر اخرتهم فكل من يكون علمه مجرد هذه العلوم
التي ليست بنافعة ولا مهمة في الدين كان اطلاق اسم العالم عليه صورة
لا حقيقة لها وربما كان عليه ذلك سببا لوقوعه في سخط ربه وهلاك
نفسه وذهاب اخرته فينبغي ان يضيف العالم بها اليها العلم بالعلوم
الدينية الاخروية التي تقارنها المخافة والخشية لله ويكثر فيها ذكر الوعد
والوعيد والترهيب في الدنيا والترغيب في الاخرة ونحو ذلك فهذه هي
العلوم التي قال فيها سفيان الثوري طلبنا العلم لغير فابى العلم ان يكون
الا لله وكما قال الامام حجة الاسلام في معنى ذلك انتهى وقال في النصائح
الدينية واما علم الوعد والوعيد فلما فيهما من الترغيب في اقامة الاوامر
والفضائل ومن الترهيب عن الوقوع في المحارم والرذائل وقبيح بالعالم
ان يتكلم في حكم بعض الواجبات او فضائل الخيرات او شيء من المحرمات
فاذا طولب عند ذلك بذكر بعض ما ورد عن الله وعن رسوله في ذلك
الامر لم يقدر ان يورد شيئا في ذلك وصفة المؤمنين انما تنشرح بكلام
الله وكلام رسوله وبه تطمئن قلوبهم وتنتهض هممهم لجد من هذه

العلوم ثلاثة ثم افضلها واجلها هي علم الاحكام الظاهرة من العبادات والمعاملات
وعلم الامور الباطنة من الاخلاق والاوصاف واحوال القلوب وعلم الوعد والوعيد
واعني به ما صح وورد عن الله ورسوله في فضل الطاعات وهو الوعد وعقاب
وعقاب السيئات وهو الوعيد وينبغي ويتأكد على اهل العلم ان يبالغوا
في نشره واذاعته وبذله وتعليمه لجميع المسلمين اعني العلم العالم النافع
عليه لكل احد من اهل الاسلام انتهى ملخصا وقال في الدعوة التامة وينبغي
للعاقل النجيب ان يشتغل من العلوم بالمهم النافع في حق نفسه بالخصوص
ثم في حق غيره ان تاهل لذلك واجمع العلوم وانفعها واصحها واوضحها ما
كان هو الاقرب والانسب بالعلوم المشروحة في كتاب الله تعالى وفي سنة
رسوله صلى الله عليه وسلم والذي يكثر ذكرها وتكرارها فيهما وذلك
مثل علم بالله تعالى وصفاته واسمائه وافعاله والعلم باوامر الله تعالى وذكر
ما يقرب اليه من الاوصاف والاعمال والعلم بنواهيه تعالى وذكر ما يبعد عنه
من الاوصاف والاعمال والعلم بالمعاد والرجوع الى الله تعالى وما فيه من الاهوال
والاهوال ووصف الجنة التي هي دار السعداء والنار التي هي دار الاشقياء
وهذه العلوم هي اصول العلوم كلها ومقصودها ولبابها وكثرة النظر
فيها تثمر مزيد الايمان واليقين بالله تعالى وبرسوله وباليوم الاخر وتحث
على لزوم الطاعة والعبادة لله تعالى وعلى ترك ما يسخطه سبحانه من السيئات
والمنكرات وتحمل على قصر الامل والاستعداد للموت وحسن التزود للمعاد
ومحبة لقاء الله تعالى وعلى الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة وما يتبع
ذلك من الاخلاق الشريفة والاعمال الصالحة التي هي شأن انبياء الله تعالى
واوليائه انتهى ملخصا وقال ابن عباد في شرحه على الحكم عند قول ابن عطاء الله

العلم

العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه
ثم العلم النافع العلم بالله تعالى وصفاته واسمائه والعلم بكيفية التعبد له و
التأدب بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فيتسع و
ينشرح للاسلام ويكشف عن القلب قناعه فتزول عنه الشكوك والاوهام
وفي حكمة داود عليه السلام العلم في الصدر كالمصباح في البيت قال ابو محمد
عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب
والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد من النار والخوف من الله و
الرجاء فيه وآفات النفس وطهارتها وهو النور المشار اليه انه نور يقذفه
الله تعالى في قلب من شاء دون علم اللسان المنقول والمعقول وقال مالك بن
انس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يقذفه الله في
القلوب وانما منفعة العلم ان يقرب من ربه ويبعده من رؤية نفسه وذلك
غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رضي الله عنه العلم
ان يعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها
رحمه الله مقصود علوم الصوفية وهي معرفة الله تعالى وحسن الادب بين
يديه وهذه هي العلوم التي ينبغي للانسان ان يستغرق فيها عمره الطويل ولا
يقنع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر
وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم قد لا يحتاج اليه وربما اضر
بصاحبه مدارسته عليها ومن العلوم المضرات النحو واللغة والبيان و
المعاني والبديع وغيرها لان هذه العلوم قيل وقال لا ينفع لصاحبه
غير المغفرة والذي سبق ذكره مثل منطق وغيره تعليمه وتعلمه حرام

محقق كما ذكرنا وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
عنه من علم لا ينفع وقلب لا يخشع كيف وكم من طول الليل والنهار وان كان
يشتغل الى غير مراد الله بل كل صاحب الفن يمدح فنه وهل يذكرون
في ديباجة تاليفه ان كان تاليفه في النحو مثلا يذكر فيه تعلم النحو لازم
وبل واجب على كل من يطلب العلم لانه من الخطاء والنقصان لم يعرف
الناس على تعلمه وفي الحقيقة لا يلزم على احد تعلم النحو فضلا عن غيره
فتامل يا اخي هذا النوع واكثر النظر ليتضح لك العلم النافع المهم فتتعلمه
والله الموفق نسئل الله العظيم المولى الكريم ان يوفقنا للعمل بما علمنا
وان لا يجعل خطا منه بما حررناه او نقلناه انه كريم وهاب انتهى
ففتش يا اخي نفسك في علمك وعملك وابك على نفسك ان رايت
عند ها ريا او سمعة او كبرا من جهة علمك على سائر العوام مما نبهك
عليه هؤلاء السادة من الائمة المجتهدين والعلماء العاملين والحمد
لله رب العالمين نعم المولى ونعم النصير حسبنا الله الوكيل وهو على كل شئ
قدير ومن اخلاقهم عارف بالله غيرتهم لله تعالى اذا انتهكت حرمات نصرة ٣٠
لشريعة نبيهم صلى الله عليه وسلم فلا يفعلون فعلا ولا يصحبون احدا
الا ان راو رضي الله تعالى فيه فلا يحبون احد ولا يبغضون احدا لعلة دنيوية
وقد ثبت في الحديث الحب في الله والبغض في الله من اوثق عرى الايمان
فلو عبد العبد ربه كعبادة الثقلين طلبا للثواب وهو غافل عن كون
ذلك من مرضات الله فهو خارج عن طريق القوم وقد اوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام هل عملت لي عملا فقال نعم يا رب صليت وصمت وتصدقت
وذكرت اشياء فقال الله تعالى هذا لك ولكن هل واليت لاجلي وليا او عاديت

لاجلي

لاجلي عدوا فعلم بذلك علم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض
في الله وكان حسن البصري يقول من ادعى انه يحب عبدا لله ولم يبغضه
اذا عصى الله فقد كذب ونعوذ انه يحبه لله وكان وهب بن منبه يقول
تاب شاب من بني اسرائيل عن جميع المعاصي ثم صار يتعبد فعبد الله
تعالى سبعين سنة لا يفطر ولا ينام ولا يستظل ولا ياكل سمينا فلما مات
رئي بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبني ثم غفر لي كل ذنب
الا عضوا من خلالي خللت به اسنانى بغير اذن صاحبه فانا محبوس
عن الجنة الى وقتي هذا وكان عطاء بن يسار يقول وقف ابليس تجاه
احد العابدين وقال يا اخي خرجت من الدنيا وانت امن مني فقال له ما
امنت بعد وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالوا له انا نرجوا
ان لا تمسك النار فقال والله انكم مجاهلون اني لا اخشى ان اصبر فحمة
من فحم جهنم وكان سفيان الثوري يقول من تزوج فقد دخل الدنيا بنيته
ومن دخل الدنيا بنيته فقد تزوج ابنة ابليس ومن تزوج ابنة ابليس
يكثر ابليس من التردد الى بيته لاجل بنته فاخذ دوا من التزوج في الادبار ود
النقص في نفسهم ونور الكمال في غيرهم عكس حال من كان قليل الادب وكان
ميمون بن مهران اذا دعي الى وليمة جلس مع الصبيان والمساكين دون الرجال
والاغنياء وكان وهب بن منبه يقول لو ورد اوحى الله تعالى الى ابراهيم
عليه الصلاة والسلام يا ابراهيم اغسل قلبك يا رب ان الماء لا يصل اليه
فكيف اغسله بطول الهم والغم والحزن على ما فاتك مني وما يفوت
على ابن ابي طالب رضي الله عنه يبكي ويقول تستريح البهائم والطيور
والحيتان وانا مرتهن بعملي وكان عبد الله بن مسعود يقول من كان اكثر

الناس زهدا في الدنيا وهو اكثرهم عملا صالحا وكان ابراهيم ادهم يقول من ادعى
الزهد في الدنيا وغضب ممن نقصه شيئا منها فهو كاذب في دعواه و
من اخلاقهم زيادتهم في التواضع كلما ترقى احدهم في المقامات عكس حال من
قرب من السراج فان الشخص كلما قرب منه راى نفسه كبيرا وهولاء
القوم كلما قربوا من حضرة الله راوا انفسهم اصغر من البعوضة من ٢٣٥
شهودهم عظمة الله ولذلك طرد ابليس من الحضرة لما تكبر وقال
انا خير منه فافهم فكل فقير رايته يا اخي متكبرا فابعد عنه فانه
عدو الله كما قال ابن عباس اوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام
يا موسى ابغض خلقي الي من تكبر قلبه وغلظة لسانه وبخلت يده وساء
خلقه وكان ابو سليمان الداراني يقول لو اجتمع الخلق على ان ينزلوني
عن شهود حقارة نفسي ما استطاعوا وكان سفيان الثوري يقول
الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر ومن لم يتضع عند نفسه لم يرتفع
عند غيره وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يجلس عن مايدة
اجزم ولا ابرص ولا مبتلى بل يقعدهم على مايدته وياكل معهم وكان
ابن السماك يقول افضل التواضع ان لا ترى لك فضلا على احد وترى فضل
الناس عليك فتفضل كل من رايته من اقرانك على نفسك بقلبك وترجو
وترجوا رحمته وتطلب دعوته وتظن ان بتوسلك به يدفع الله عنك
البلايا فهذا هو التواضع الاكبر وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه
عليه الصلاة والسلام كان ياكل مع الخادم ويطحن معها اذا عيت وكان لا
لحيا ان يحمل بضاعته من السوق الى اهله وكان يصافح الغني والفقير
والحاج ورمى جمرة العقبة لم يكن بين يديه ضرب ولا طرد ولا اليك اليك

ولا

وكان بعضهم يقول التكبر على من تكبر عليك بما له تواضع لله عز وجل ومن
٢٢ اخلاقهم عدم التهاون بشيء من الفضايل التي رغبنا الشارع في فعلها وكان
عبيد بن عمير يقول ما من عبد يضع جنبه على الفراش ويذكر الله تعالى
بامده النوم الا كتب ذاكرا لله تعالى حتى يستيقظ وكان وهب بن الورد يقول
اياكم ان تطلبوا ثوابا على عبادتكم فانها الى الرد اقرب منها الى القبول اما ترون
الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما بنا البيت ربنا تقبل منا فخاف ان
٢٤ لا يقبل بناءه ومن اخلاقهم كثرة التوبة والاستغفار ليلا ونهارا لشهودهم
قصورهم في العبادة وكان صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بدائكم ودوائكم
فان دائكم الذنوب ودوائكم الاستغفار وكان علي ابن ابي طالب رضي الله
يقول العجب ممن يقنط ومعه النجاة قيل وما هي فقال كثرة الاستغفار
واجمع اهل السنة على صحة توبة العبد من القتل واخذ المال بغير حق ومن شرب
الخمر ومن الزنا وساير المعاصي وكان ابو الجوزا يقول ان العبد ليذنب
الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس يا ليتني لم اوقعه فيه
وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول خياركم كل مذنب تواب ثم يتلوا
ان الله تواب الرحيم وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ما بلغني في كتاب
ولا سنة ولا بلغ على ان الله تعالى قال لذنب لا اغفر له وكان مجاهد
يقول من لم يتب كل صباح ومسا فهو من الظالمين وكان سعد بن المسيب
يقول نزلت هذه الاية انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب وكان عبد الله بن مسعود يقول ان للجنة ثمانية ابواب
كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يدعه يغلق
فاعملوا ولا تيئسوا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول جالسوا التوابين

الناس زهدا فى الدنيا وانوا اكثرهم عملا وصلاحا وكان ابرهيم ادهم يقول من ادعى
الزهد فى الدنيا وغضب ممن نقصه عند اهلها فهو كاذب فى دعواه و
من اخلاقهم زيادتهم فى التواضع كلما ترقى احدهم فى المقامات عكس حال من
قرب من السراج فان الشخص كلما قرب منه راى نفسه كبيرا وهولاء ٢٣ ٥
القوم كلما قربوا من حضرة الله راوا انفسهم اصغر من البعوضة من
شهودهم عظمة الله ولذلك طرد ابليس من الحضرة لما تكبر وقال
انا خير منه فافهم فكل فقير رايته يا اخى متكبرا فابعد عنه فانه
عدو الله كما قال ابن عباس اوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام
يا موسى ابغض خلقى الى من تكبر قلبه وغلظة لسانه وبخلت يده وساء
خلقه وكان ابو سليمان الدارانى يقول لو اجتمع الخلق على ان يزلونى
عن شهود حقارة نفسى ما استطاعوا وكان سفيان الثورى يقول
الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر ومن لم يتضع عند نفسه لم يرتفع
عند غيره وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يجلس عن مائدة
اجذم ولا ابرص ولا مبتلى بل يقعدهم على مائدته ويأكل معهم وكان
ابن السماك يقول افضل التواضع ان لا ترى لك فضلا على احد وترى فضل
الناس عليك فتفضل كل من رايته من اقرانك على نفسك بقلبك وترجو
وترجوا رحمته وتطلب دعوته وتظن ان يتوسلك به يدفع الله عنك
البلايا فهذا هو التواضع الاكبر وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه
عليه الصلاة والسلام كان ياكل مع الخادم ويطحن معها اذا عيت وكان لا يأنف
الحيا ان يحمل بضاعته من السوق الى اهله وكان يصافح الغنى والفقير
ولما حج ورمى جمرة العقبة لم يكن بين يديه ضرب ولا طرد ولا اليك اليك

وكان ابن مسعود يقول التكبر على من تكبر عليك بما لم تواضع لله عز وجل ومن
٢٢ اخلاقهم عدم التهاون بشئ من الفضائل التى رغبنا الشارع فى فعلها وكان
عبيد بن عمير يقول ما من عبد يضع جنبه على الفراش ويذكر الله تعالى
باحذه النوم الا كتب ذاكرا لله تعالى حتى يستيقظ وكان وهب ابن الورد يقول
اياكم ان تطلبوا ثوابا على عباداتكم فانها الى الرد اقرب منها الى القبول اما ترون
الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما بنا البيت ربنا تقبل منا فخاف ان
٢٤ لا يقبل بناؤه ومن اخلاقهم كثرة التوبة والاستغفار ليلا ونهارا لشهودهم
قصورهم فى العبادة وكان صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بدائكم ودوائكم
فان دائكم الذنوب ودوائكم الاستغفار وكان على بن ابى طالب رضى الله
يقول العجب ممن يقنط ومعه النجاة قيل وما هى فقال كثرة الاستغفار
واجمع اهل السنة على صحة توبة العبد من القتل اخذ المال بغير حق ومن شرب
الخمر ومن الزنا وسائر المعاصى وكان ابو الجوزا يقول ان العبد ليذنب
الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس يا ليتنى لم اوقعه فيه
وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول خياركم كل مذنب تواب ثم يتلوا
ان الله تواب الرحيم وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ما بلغنى فى كتاب
ولا سنة ولا بلغ على ان الله تعالى قال لذنب لا اغفر له وكان مجاهد
يقول من لم يتب كل صباح ومساء فهو من الظالمين وكان سعد بن المسيب
يقول نزلت هذه الاية انه كان للاوابين غفورا فى الرجل يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب وكان عبد الله بن مسعود يقول ان للجنة ثمانية ابواب
كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يدعه يغلق
فاعملوا ولا تيأسوا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول جالسوا التوابين

فانهم غرقا فتدبره وفي الحديث ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم اكثر
اكثر من سبعين مرة وكان وهب ابن منبه يقول من قد الاستغفار على الندم
كان كالمستهزى بالله ولا يشعر فانها توبة الكذابين قلت ويؤيد هذا قوله
تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه فاخر الاستغفار عن التوبة المشتملة على
الندم فتامل فان الواو هنا للترتيب والله اعلم ومن اخلاقهم امرهم بالمعروف
٢٤٤ ونهيهم عن المنكر وان لم يفعلوا المعروف ولم ينتهوا عنه وفي الحديث ان اباهريرة
رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله انامر بالمعروف وننه عن المنكر وان
لم ناتمر ولم ننته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امروا بالمعروف وان
لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقول سياتي على الناس زمان يكون صالحهم فيه هو من لا يامر بمعروف
ولا ينهى عن منكر فيقول الناس منه الاخيار لكونه لم يغضب وكان كعب
الاحبار يقول جنة الفردوس خاصة بمن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
وكان سفيان الثوري يخرج الى السوق فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم ترك
ذلك فقالوا له في ذلك فقال كان نفتح في الدين قناة فطلبناها ان نسدها
واما الان انفتح الامر فمن يقدر على ان يسده وكان عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه ان من اكبر الذنوب عند الله تعالى ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك
بنفسك وكان حذيفة بن اليماني رضي الله عنه يقول سياتي على الناس
يكون زمان مجالسة الناس بجيفة حمار احب اليهم من مجالسة المؤمن الذي
يامرهم ينهاهم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لاصحابه من اهدى
الى عيوبي سالت له رحمة الله فلما تبادر الناس الى ذكر شئ منها فرح بذلك
رضي الله عنه وكان مالك بن دينار يقول اوحى الله تعالى الى الملائكة ان صبوا

العذاب على قرية وكذا صيبا فصاحت الملائكة وقالوا يا رب ان فيهم عبدك فلانا
العابد فقال تعالى اسمعوني ضجيجه من العذاب فان وجهه لم يتمعر قط اذا رى محارمي
وقيل لسفيان الثوري رضي الله عنه ايامر الرجل من يعلم انه لا يقبل منه قال
نعم قيل لم قال ليكون معذورة له عند الله تعالى ومن اخلاقهم عدم العجب ٢٤٣
والادلال بشئ من اعمالهم بل يرون انهم استحقوا النار وبصالح اعمالهم عندهم
فضلا عن سيئها لما يشهدونه منها سوء الادب مع الله تعالى ولما مرض عمر بن
عبد العزيز اشاروا عليه بالدفن في المكان الرابع عند قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لان يعذبني الله تعالى بالنار احب الي من ان يعلم الله من قلبي
اني ارى نفسي اهلا لذلك انتهى وقد كان عيسى عليه السلام يقول كم من
سراج قد اطفاته الريح وكم من عبادة قد افسدها العجب وقد كان وهب
بن منبه ساعة يزري العبد فيها بنفسه خير له من عبادة سبعين سنة
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان من علامة صدق توبتك ان يعرفي
الله بذنبك وان من اخلاص عملك ان ترفض عجبك وان من صدق شكرك
ان تعرف تقصيرك وكان عمر بن عبد العزيز اذا خاطب على المنبر فخاف
العجب قطع الكلام وعدل الى غيره مما لا عجب فيه واذا كتب كتابا فخاف العجب
فيه مزقه ويقول اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي وكان مطرف بن عبد الله
يقول لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ابيت قائما واصبح معجبا اري
نفسي على النائمين وكانوا يعيبون على العباد كثرة عبادتهم وقيامهم خوفا
عليهم من الاعجاب ويقولون لهم تعلموا العلم بما علموا فان لكل عمل ادبا
شرعيا وكان حذيفة المرعشي رضي الله عنه ان لم تخف ان يعذبك الله على
افضل اعمالك فانت هالك وسئل ابن السماك عن حقيقة العجب فقال هو

ان تطاول على الناس بعملك فتحقر كل من رايته مقصرا في العمل وكان الفضيل
بن عياض يقول السلامة من الريا والنفاق في العلماء والقراء اعز من الكبريت
الاحمر لان احدهم لا يقدر على سماع قول الناس ما اعلم فلان او ما احسن صوته
بالقران الا ويحصل عنده عجبا بذلك وان قالوا ليس بعالم ولا حسن الصوت
شق عليه ذلك وساء غما من اكبر علامات الريا ثم بعد ذلك يشرع في تحسين
حاله ريا وسمعة وكان يحيى بن معاذ يقول والله لذنب تفتقر به الى
عفو الله خير لك من طاعة تفتخر بها على العباد وكان محمد بن واسع يقول
لعباد زمانه اف عليكم دخل العجب في اعمالكم مع قلتها وقد كان من قبلكم
لا يعجبون باعمالهم مع كثرتها والله ما انتم الا كالاعبين بالنظر لعبادة
من كان قبلكم انتهى ومن اخلاقهم انفاق الدراهم والدنانير في اطعام الجايع ٥٢
وكسوة العريان ووفاء الديون التي على الناس لا على عمارة الزوايا والدور
وقد رايت مرة شخصا من مشايخ العصر يبني له في ضريح بقبة وتابوت
فجاءه اعمى معيل فسال له نصفا ياخذ به لعياله خبزا فقال له يفتح الله فقلت
اعطه نصفا افضل من عمارة القبة كلها فابى فسقط من عيني ذلك اليوم
وكان عبد الله بن المبارك يقول ادعوا اربعين دارا من كل جانب وكان
الدجاج المشوي يحمل على الجمل لسماطه وسالوه مرة ان يساعدهم في عمارة
مسجد فابى وقال لقمة في بطن جايع ارجح في ميزاني من عمارة المسجد وحدي
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اراد الله بعبد شرا اهلك
ماله في اللبن والطين وفي الحديث كل درهم ينفقه العبد فان الله يخلفه الا
ما كان في بنيان او معصية وكان انس بن مالك رضي الله عنه يقول ورثت
درجة في سلم غرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرك فاردت ان ابنيها.

بقطعة

بقطعة طين فنهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لي وللدنيا
وفي رواية اني بعثت بخراب الدنيا ولم ابعث بعمارتها وهذه الدرجة
المذكورة هي التي ينزل منها رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفكت
فكنت منها منقطعا بحوشه وبنى ابو الدرداء كنيفا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فكتب اليه من عمر الى عويمر سلام عليك اما بعد ثكلتك امك
اما كان لك حاجة الا ان تجدد عمارة الدنيا بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حكمت عليك ان لا تضع كتابي حتى تهدمه فهدمه ابو الدرداء
من وقته وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول سياتي على الناس
زمان يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ويصلون
الى قبلتكم ويموتون على غير ملتكم وكان ابو سلمة بن عبد الرحمن رضي الله
عنه يقول كل شيء دخله زهو وسباهات من مركب وملبس ومسكن
ومطعم فهو سرف ومعصية وسئل محمد بن سلام السكندري عن السنة
في طول البنا في المساجد والمنازل فقال قدر قامة الرجل وكان احمد بن
حرب يقول من نظر الى بستان او بنيان بشهوة من غير عبرة سلبه
٢٥٠ الله تعالى حلاوة العبادة اربعين يوما ومن اخلاقهم كثرة مجاهدة نفوسهم
في العبادات وترك الشهوات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المجاهد
من جاهد نفسه في الله عز وجل وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول اول
ما تنكرون من الجهاد نفوسكم وكان بشر الحافي رحمه يقول ستون من
مردة الشياطين لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة وستون
من قرنا السوء لا يفسدون ما تفسد النفس في لحظة وكان يحيى بن معاذ
يقول بلغنا ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام ان اردت محبتي لك

فماد نفسك وود ني بعداوتها وكان يحيى بن معاذ يقول انا اعرف
شقاوتي من الان فقالوا له وكيف فقال لانهم قالوا من علامة سعادة
المرء ان يكون عدوه عاقلا وارى خصمي لا عقل له فقيل له ومن خصمك
فقال نفسي فقيل له انت بحمد الله تعالى ذو عقل فقال له كيف عقلي وانا ابيع
الجنة بشهوة نومة او لقمة او كلمة وكان عطا السلمي رضي الله عنه يقول
اذا اصاب اهل بلدة ريح او غلا او بلا كل هذا من اجلي لو مات عطا لاستراح
الناس منه وكان وهب بن الورد يقول من غلب شهوته فهو خير من
الملائكة لان الملائكة عقول بلا شهوة ومن غلبته شهوته وغلبت
على عقله فهو شر من البهايم اذ البهايم شهوة بلا عقل وكان يحيى بن معاذ
يقول محاربة الزاهدين تكون مع الشهوة ومحاربة التوابين مع السيئات
ومن اراد حماية نفسه من دخول النار فليترك اكل الشهوات وسائر
تشتهيه نفسه وكان ابو سليمان الداراني رحمه الله يقول من المحال
ان يجد احد لذة الطاعات وهو يتناول الشهوات وكان طاوس رضي الله
عنه يصف للمريض قلة الاكل ويقول لم يجعل الله تعالى لصحيح ولا مريض دواء
اعظم من ترك الاكل وما اتى المريض الا من جهة الاكل ولذلك كانت الملائكة
لا تمرض لعدم اكلها قال من نظر الى قصر او بستان او غير ذلك فاستحسنه
نقص عقله بقدر ما استحسن وكان يحيى بن معاذ شهوات نيرانها وحطبها
لذتها وللجوع ما وها الذى يطفى به وكان يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام
من اطيب الناس طعاما كان ياكل الجراد وقلوب الشجر والنبات وكان بشر
بن السري رضي الله عنه يقول لان اترك ذرة من غداي وعشاي احب
الي من عبادة العابدين وصلاة المصلين وحج الحاجين وصوم الصايمين

وجهاد المجاهدين وكان يحيى بن معاذ يقول لو ذهب جميع الصالحين
للجوع فمن فر من الجوع فهو من الفاسقين وكان يقول اذا رايتم الزاهد
قد يترخص باكل الشهوات فاعلموا قد رجع عن الزهد فان التبسط في الدنيا
معدود من فسق العارفين فكيف باحاد الناس وكان يزيد الرقاشي لا يشرب
البارد ابدا ويقول ان شربته في الدنيا ان احرم شربه في الاخرة وكان
مالك بن دينار يقول الناس يقولون ان من ترك اللحم اربعين يوما قل
عقله وقد تركته سنين وما نقص عقلي شي وكان مالك بن دينار لا ياكل
من رطب البصره شيا واذا مضى من زمنه قال يا اهل البصره هذا بطني
ما نقص ترك اكل الرطب منه شيئاً ولا زاد في بطونكم شيئا واشتهى مالك
بن دينار في زمن موته خبزاً ابيض ولبنا فاتوه به فنظر اليه ثم قال زادفعت
نفسي عن الشهوات طول عمري فا وافقها في اخره ثم اذهبوا به الى يتيم فلان
ولم ياكله ومكث معروف الكرخي ثلاثين سنة يشتهي ان يغمس جزره
في دبس فلم يفعل وقدموا عمر بن الخطاب رضي الله عنه انا فيه لبن وعسل
فرده فقال تذهب لذته وتبقى تبعته ومن اخلاقهم شدة اجتهادهم
في العبادة ليلا ونهاراً نساء ورجالا ومواظبتهم على قيام الليل لا سيما
في ليالي الشتا وعدم رؤيتهم نفوسهم بذلك على احد من النايمين وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى
وما هم بمرض وكانوا يجلسون الى احمد بن رزين اليوم كاملا فما يرونه يلتفت
يمينا ولا شمالا فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى انما خلق العينين للاعتبار
فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئته وكان علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يقول علامة الصالحين صفرة الالوان من طول السهر وعمش العيون

من طول البكاء وذبول الشفاه من الصوم واردت ام ابرهيم العابدة ان تجاورة بمكة ثم تركت ذلك فقالوا لها في ذلك فقالت على انى لا اصلح لخدمته فطردني من حضرته وكان يحيى بن معاذ يقول من كثر اكل كثر لحم بطنه ومن كثر لحم بطنه كثرت شهواته ومن كثرت شهواته كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه قسى قلبه ومن قسى قلبه غرق في الذنوب والافات ومن غرق في الذنوب والافات دخل النار وصام الاسود بن يزيد في الحر حتى اخضر جسده واصفر وكان يصلي حتى يسقط من قيامه وصام العلا بن زياد حتى اخضر جسده وصلى حتى سقط فدخل عليه الحسن البصري ومالك بن دينار فقالا له ان الله لا يامرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك والله لو اني سجدت على الجمر منذ خلق الله تعالى الدنيا الى قيام الساعة ما اديت شكر عافية ساعة واحدة ولا شربة ماء وكان ابو الجويرية يقول صحبت الامام ابا حنيفة لا افارقه ستة اشهر فما رايته وضع جنبه الى الارض في ليلة منها قالوا ولم يكن لابي حنيفة فراش في الليل وكان سفيان الثوري يقول ما رايت اعبد من ابي حنيفة ولا اورع منه وقال صلى الله عليه وسلم من صلى الصلاة لوقتها واسبغ لها وضوءها واتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة الصلاة فان صلحت

صلح سائر عمله وان فسدت سائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن اقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وقال صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي وقال صلى الله عليه وسلم حين راى رجلا يعبث بلحيته في صلاته لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وفي الحديث انما الصلاة تمسكن وتخضع وتخشع وفيه ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها وقال ابو طالب المكي رحمه الله تعالى حدثنا ان المؤمن اذا توضا للصلاة تباعدت عنه الشياطين خوفا منه لانه يتاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبين سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه الكريم فاذا قال الله اكبر اطلع الملك على قلبه فاذا ليس فيه اكبر من الله فيقول الملك صدقت الله في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق ملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الصلاة احتوشت الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كل شيء في قلبه اكبر من الله عنده فقال الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون فيكون حجابا القلبه عن الملكوت قال فيزيد ذلك الحجاب بصلوته وتلتقم الشياطين قلبه ولا تزال تنفخ فيه وتنفث فيه وتوسوس اليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل شيئا مما كان فيه انتهى ولهذا قال الحسن رحمه الله كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وقد قال السلف الصالح رضي الله عنهم من عرف من على يمينه وشماله في الصلاة فليس بخاشع ولذا ورد ان احدهم كان يقع

عليه الطير وهو قائم في الصلاة او ساجد يحسب انه حائط او جماد من شدة
هدوه وطول قيامه وسجوده وسقطت في جامع البصره اسطوانة ٭
انزعج لسقوطها اهل السوق وكان بعضهم يصلي في المسجد فلم يشعر بها من شدة
استغراقه في صلاته وكان بعضهم يقول لاهله ولاولاده اذا دخلت
في الصلاة فافعلوا ما بدا لكم يعني من رفع الاصوات وكثرة اللغط فاني
لا احس بكم فكانوا ربما يضربون بالدف عنده فلا يشعر به واحترق
بيت علي بن حسين رضي الله عنهما بالنار وهو ساجد فجعلوا يصيحون
عليه النار النار يا ابن رسول الله فلم يرفع رأسه فلما فرغ من صلاته قيل
له في ذلك فقال الهتني عنها النار الاخرى وقيل لبعضهم هل تجد في صلاتك
ما نجده من وسواس الدنيا فقال لان تختلف في الاسنه احب الي من
من ذلك وقيل لاخر تحدث نفسك في الصلاة بشي فقال وهل شي احب
الي من الصلاة حتى احدث نفسي به فيها وسرق سارق فرس الربيع بن
خيثم وهو في الصلاة فجعل الناس يدعون عليه فقال الربيع لقد رايته
حين اطلقه فقالوا له لو طلبته فاخذته منه فقال كانت صلاتي احب
الي من الفرس وهو منه في حل واثار السلف الصالح رضي الله عنهم
في ذلك كثيرة مشهورة وهذا كله لمعرفتهم بجلالة قدر الصلاة وحضور
القلب مع الاخلاص فيها وادائها بافعالها الظاهرة والباطنه على اكمل
الوجوه واتمها قال الامام الغزالي رحمه مثل الذي يقيم صورة الصلاة الظاهرة
ويغفل عن حقيقتها الباطنة كمثل الذي يهدي لملك عظيم وصيفة ميتة
لا روح فيها ومثل الذي يقصر في اقامة ظاهر الصلاة كمثل الذي يهدي
للملك وصيفة مقطوعة الاطراف مفقودة العينين فهو والذي قبله

معترضان

معترضان من الملك بهديتهما للعقاب والنكال لاستهانتهما بالحرمة واستخفافهما
بحق الملك ثم قال فانك تهدي صلاتك الى ربك فاياك ان تهديها بهذه
الصفة فتستوجب العقوبة انتهى بمعناه ولما ذكر المصلين بالغفلة قال
سبحانه وتعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل
للمقيمين للصلاة ومن اخلاقهم كثرة الاستغفار وخوف المقت كلما قراوا
القران لشهودهم عدم عملهم به وقدمنا عن عبد الله بن المبارك انه كان
يقول كم من حامل للقران والقران يلعنه من جوفه وانه كان يقول اذا
عصى حامل القران ربه ناداه القران من جوفه والله ما لهذا حملت الا
لتنتحي عن ذنبك وقد كان يوسف بن اسباط رضي الله عنه كلما ختم القران
يستغفر الله تعالى سبعين مرة ثم اللهم لا تمقتني بما قراته من غير عمل سبعين
مرة وقال الله تعالى واستغفروا الله ان الله كان غفورا رحيما وقال الله تعالى
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال
صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله تعالى من كل ضيق مخرجا و
من كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن وجد صحيفته استغفارا كثيرا وفي الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا
نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي
وتب علي انك انت التواب الرحيم وقد قال السيد عبد الله الحداد في النصائح
الدينيه اعلم رحمك الله ان التوبة ليست هي قول العبد بلسانه استغفر الله
واتوب اليه من غير ندم بالقلب ومن غير اقلاع عن الذنب وقد ذكر العلماء

رحمهم الله للتوبة شرائط لابد منها ولا تتم التوبة الا بها وهي ثلاثة الاول
الندم بالقلب على الذنوب السابقة والثاني الاقلاع عن الذنب ومعناه
ان لا يتوب عن ذنب وهو مقيم عليه وملازم له والثالث العزم على ان يعود
الى الذنوب التي تكون بين العبد وبين ربه فاذا تاب العبد من ذنوبه على
الوجه الذي وصفناه فينبغي ان يكون بين الخوف والرجا يرجوا من ربه قبول
توبته بفضله وكرمه ويخاف من عدم قبول التوبة مخافة انه لم يات بالتوبة
على وجهها الذي امره الله به فيكون غير تائب عند الله تعالى انتهى وقال فيها
ايضا ثم ان الشيطان لعنه الله قد يخدع بعض الاغبياء من المسلمين فيقول
له كيف تتوب وانت لا تعرف من نفسك الثبات على التوبة ولم تتوب
ثم تعود الى الذنب ويلقي عليه وساوس من هذا الجنس فليحذره المسلم
ولا يغتر ولا ياخذ بتزويره وتلبيسه وقد قال عليه الصلاة والسلام
ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وعلى العبد ان يتوب
ويسئل من ربه الاعانة والتثبيت ثم ان غلبته نفسه على العود الى الذنب
فليغلبها على العود الى التوبة والله الموفق المعين انتهى ما ذكره في النصائح
اعلم انه يجب على كل مؤمن وجوبا متؤكدا ان يحترز جميع الذنوب لان
فيها سخط الله ومقته كما تقدمت الاشارة لذلك وهي السبب في جميع
البليات التي تصيب العبد في الدنيا والاخرة كما قال تعالى وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم ان وقع العبد في شيء منها فالواجب عليه ان
يبادر الى التوبة والانابة الى ربه من غير اصرار ولا اقامة على الذنب ولا
رضى به وينبغي ان يجدد التوبة في كل حال وحين فان الذنوب كثيرة ومنها
الصغاير والكباير والظاهرة والباطنة والعبد لا يخلو في ظاهره وباطنه

من معاصي غيديه وان حسنت حالته ودامت طاعته ولو لم يكن في ذلك
الا التاسي برسول الله صلى الله فانه كان مع عصمته وكماله المطلق يتوب
الى الله ويستغفره في كل يوم اكثر من سبعين مرة كما تقدم واعلم ان مقدمات
التوبة كما ذكره الغزالي في منهاجه ثلاث احدها ذكر غاية قبح الذنوب
والثانية ذكر شدة عقوبة الله تعالى واليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة
لك به والثالثة ذكر ضعف نفسك وقلة حيلتك في ذلك فان من لم
يحتمل حر شمس ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب
مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت
من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه فاذا
واضبت على هذه الاذكار وعاودتها اناء الليل والنهار فانها ستحملك على
التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله انتهى كما قال الله تعالى ان
يحب التوابين وقال تعالى فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه
ان الله غفور رحيم وقال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات وقال تعالى الم يعلم ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات
وان الله هو التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبسط يده
بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى
تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم ان من قبل
المغرب لبابا مسيرة عرضه اربعين عاما او سبعون سنة فتحه الله عز
وجل للتوبة يوم خلق السموات والارض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس
منه وقال صلى الله عليه وسلم لو اخطاتم حتى تبلغ خطاياكم السماء
ثم تبتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم اذا تاب العبد من ذنوبه

التى الله تعالى فلك جوارحه وما لمه من الارض حتى يلقى الله تعالى يوم القيمة
وليس عليه شاهد من الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم الله اشد فرحا بتوبة
عبده حين يتوب اليه من احدكم واعلم ان للتائب الصادق علامات منها رقة
القلب وكثرة البكاء ولزوم الموافقة وهجران السوء ومواطن المخالفة قال
فى رسالة المعاونة سئل صلى الله عليه وسلم فما علامة التوبة قال الندامة
فافهم ذلك تنفعل انتهى ومن اخلاقهم كثرة تلاوة القران العظيم لان تلاوة
القران من افضل العبادة واجل الطاعات وفيها اجر عظيم وثواب كريم قال
الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه
غفور شكور وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتى تلاوة القران
وقال صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب الله كتبت له حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول ان الم حرف واحد بل الف حرف واحد ولام حرف
وميم حرف وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من شغله ذكرى
وتلاوة كتابى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين وفضل
كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وكان مالك بن دينار رحمه
الله يقول يا اهل القران قولوا لى ماذا زرع القران فى قلوبكم ان القران
ربيع القلب كما ان الغيث ربيع الارض وكان سفيان الثورى رحمه الله
يقول اذا قرا العبد كلام الله ثم تكلم بلغوا ثم للقران قال الله تعالى ما لك
ولكلامى وكان عروة الرقى يقول محبة العبد لربه هى حب القران والعمل
وحبه لرسول صلى الله عليه وسلم هو عمله بسنة وكذلك قال سفيان
الثورى ومالك ابن انس وكان مطرف يقول من علامة محبة العبد لربه ان لا

يمل

٢٩ يمل من تلاوة كتابه ومن اخلاقهم شدة حيائهم وكان الامام مالك بن انس
رحمه الله اول من ضرب الاخبية فى سفره عثمان بن عفان رضى الله عنه قال
انى رجل شديد الحيا من الناس فاستره فى من رؤية الناس لى وكان رضى الله
عنه لا يذهب الى الخلاء الا وهو مغطا راسه حياء من الملائكة وفى الحديث
الحيا من الايمان ولكل دين خلق وخلق الانسان الحيا وكان بشر الحافى يقول
لكل شئ زينة وزينة الحيا ترك الذنوب ولكل شئ ثمرة وثمرة الحيا اكتساب
الخير وكان مالك بن دينار يقول ما عاقب الله قلبا اشد من ان يسلب منه
الحيا وكان يوسف بن اسباط يقول كانوا يستحيون من الله ان يسئلوه
٢/١ رضاه والجنة وانما يسئلونه العفو والصفح عن زلاتهم ومن اخلاقهم
شدة التقوى لله تعالى ورؤيتهم نفوسهم بعد ذلك انهم غير متقين و
وحبهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله
عنه يقول من اتقى الله تعالى لم يضع كلما تريد نفسه من الشهوات وفى
الحديث من قيل له اتق الله فغضب اوقف يوم القيمة فلم يبق ملك الا ضربه
وعاتبه وقال له انت الذى قيل لك اتق الله فغضبت يعنى يوبخونه بذلك
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لنفسه والله لتتقين الله يا ابن
الخطاب او ليعذبنك الله ثم لا يبالى بك وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا قرا
قوله تعالى واتقون يا اولى الالباب يقول والله انما يعاتبهم لمحبته اياهم
وكان سعيد بن جبير من علامة محبة العبد لربه كثرة النصب والتعب
فى عبادته فان حب الله لا يناله بالراحة وكان عبد الواحد بن زيد يقول
مررت برجل نائم فى الثلج فقلت له اما تحس بالبرد فقال من ذاق محبة
الله عز وجل لم يجد للبرد ولا للنار الما ومراده المحبة الكاملة بالنسبة

لمقام كل محب وكان محمد بن واسع يقول كم ممن يزعم انه محب لله والله لمبغض
والله تعالى عليم وكان وهب ابن منبه يقول قال داود عليه السلام يارب
من تقبل صلاته وينبغي له ان يدخل بيتك يعني المسجد فقال من تواضع لعظمتي
وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي واطعم الجايع وآوى [illegible]
الغريب ورحم المصاب فذلك الذي ينبغي ان يدخل بيتي واجيب دعاه وكان
عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقول ركعتان مع حضور قلب خير
من الف والقلب ساه وكان علي بن عبد الله بن عباس يقول ان الخضوع
في السجود افضل من الخضوع في الركوع فلذلك كنت اكثر من السجود قالوا
وكان ورده كل يوم الف ركعة واعلم رحمك الله تعالى ان التقوى هي عنوان
الولاية وسيما الهداية وهي اشرف الخصال المقربة الى ذي العز والجلال
وقال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال الله تعالى الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الله تعالى كذلك يجزي الله المتقين والايات
فيما ذكر اكثر من ان تحصى وابعد من ان تستقصى وعن ابي ذر رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث ما كنت واتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وعنه صلى الله عليه السلام
اذا جمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم يقول الله عز وجل
يا ايها الناس قد جعلت لكم نسبا وجعلتم نسبا فرفعتم نسبكم ووضعتم
نسبي قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم فابيتم الا فلان بن فلان فاليوم
اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبعون
لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال قتادة رضي الله عنه

مكتوب

في التوراة يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شئت وقال وهب بن منبه الايمان
عريان ولباسه التقوى وقال الاعمش من كان رأس ماله التقوى كلت
الالسن عن وصف ربحه وعن بعض الصالحين انه قال لبعض اشياخه
اوصني بوصية ينفعني الله بها فقال اوصيكم بوصية الله رب العالمين
للاولين والاخرين قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله ولو علم الله سبحانه وتعالى خصلة هي اعظم من هذه
الخصلة التي هي التقوى لوصى الله بها انتهى اذا علمت ذلك فالمراد بالتقوى
هي امتثال الاوامر واجتناب المناهي المنصوص عليها في قوله تعالى وما اتيكم
الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا قال ابن عباس رضي الله عنهما
المتقون الذين يحذرون من الله عقوبة في ترك ما يعرفون من الهدى
ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به وقال ابن مسعود رضي الله عنه
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ان يطاع فلا يعصى
وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر وقد ذكر الامام الغزالي في
منهاجه ان منازل التقوى ثلاث تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة
وتقوى عن المعاصي الفرعية قال وقد ذكرها الله تعالى في اية واحدة
وهي قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا
فالتقوى الاولى تقوى القلب عن الشرك والايمان في مقابلته وهو التوحيد
والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار بالسنة
والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي ولا اقرار في هذه المنزلة فقابلها
بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها فتكون منزلة مستقيمي

الطاعة فالاية جمعت ذكر المنازل الثلاث منزلة الايمان ومنزلة التسنة
ومنزلة مستقيمي الطاعة انتهى نسئل الله العظيم ان يجعلنا من عباده المتقين
وبطاعته عاملين انه كريم وهاب ومن اخلاقهم سد باب الغيبة وكان
جابر رضي الله عنه يقول هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما اشد نتن هذه الريح فقال ان ناسا من
المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين فلذلك هاجت هذه الريح الخبيثة
وكان وكيع بن الجراح رضي الله عنه يقول من عزة السلامة من الغيبة
انه لم يسلم منها الا قليل من الناس وكان وهب بن الورد يقول
والله لترك الغيبة عندي احب الي من التصديق بجبل ذهب وكان سعيد
بن جبير رضي الله عنه يقول ان العبد ليعمل الحسنات الكثيرة فلا يراها
في صحايفه يوم القيمة فيقول يارب اين حسناتي فيقال ذهبت باغتيابك
للناس وكان محمد بن سيرين يقول من الغيبة المحرمة التي لا يشعر بها
اكثر الناس قولهم ان فلانا اعلم من فلان فان المفضول يتكدر من ذلك
ومعلوم ان حد الغيبة ان يذكر الرجل اخاه بما يكره وسيأتي ان طبيبين
بصوريين دخلا على سفيان الثوري فقال لولا اخشى ان تكون غيبة
لقلت احدهما اطب من الاخر وكان حاتم الاصم رحمه الله يقول خصال
ثلاث اذا كن في مجلس فان الرحمة عن اصحابه مصروفة ذكر الدنيا و
والضحاك والوقيعة في اعراض الناس وكان الانطاكي يقول من الحرمة
ان تخبأ عيب اخيك في قلبك وتتركه ان تتكلم به خوفا من عدو ومالك
ومن اخلاقهم عدم وسوستهم في الوضوء وفي الصلاة وفي القراءة فيها ٢٧
وغير ذلك مع شدة مبالغة احدهم في الورع الى الغاية وذلك لان

اصل

اصل حصول الوسوسة انما هو من ظلمة القلب وظلمة القلب من ظلمة الاعمال
وظلمة الاعمال من اكل الحرام والشبهات فمن احكم اكل الحلال فليس لابليس
عليه سبيل ومن اخلاقهم كتمانهم الاسرار وعدم تبليغهم احدا ما يسمعونه
في حقه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات يعني نمام ومن اخلاقهم ١٩
كثرة الاشتغال بعيوب انفسهم عن عيوب الناس عملا بقوله تعالى وفي
انفسكم افلا تبصرون وعملا بحديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس وكان زيد العمي رضي الله عنه يقول قرات في بعض الكتب الالهية
يا ابن ادم جعلت لك مخلاتين مخلاة امامك ومخلاة خلفك فالمخلاة
التي خلفك فيها عيوبك والمخلاة التي امامك فيها عيوب الناس فلو نظرت
الى التي خلفك لشغلتك عن التي امامك وكان بكر بن عبد الله المزني
يقول اذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس فاعلموا انه عدو الله وان
الله مكر به وكان زيد العمي يتيقن احدكم عيوب نفسه ومع ذلك يحبها
ويبغض اخاه المسلم على الظن فاين العقل وكذلك كان بشر الحافي يقول من
زعم ان الله يحبه وهو يعرض في اعراض الناس فهو كاذب فانه شيطان
والشيطان عدو الله وكان يحيى بن معاذ يقول كلما ازداد العبد من معرفة
عيوبه قرب من حضرة ربه وكلما نقص من معرفة عيوبه بعد عنها
وكان الحسن البصري يقول من عقل العاقل ان لا يعير احدا بذنب فاني
ربما عيرت احدا بذنبه فابتليت بذلك الذنب بعد عشرين سنة عقوبة
لي قال وبلغنا ان عيسى عليه السلام كان يقول لا تنظروا في عيوب الناس
كانكم اربابه وانظروا في عيوبكم كانكم عبيد فانما الناس رجلان مبتلى

ومعافى فارحموا اهل البلا واشكروا الله على العافية وقال الحسين بن عيّر اخاه
بذنب لم يمت حتى يعمل ذلك الذنب واذا اطلعك الله يا اخي على عيب احد
من طريق الكشف فاستغفر ربك فانه كشف شيطان ومن اخلاقهم حسن
خلقهم مع جفاة الطباع تخلقا باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا ١،
بقوله صلى الله عليه وسلم وخالق الناس بخلق حسن وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول ان الرجل ليكون فيه تسعة اخلاق حسنة وواحد
سيئ فيغلب ذلك الخلق الواحد التسعة فاتقوا عثرات اللسان وكان بشر بن
عمر ليس ليسئ الخلق الا المجرى ومن اخلاقهم كثرة الفتوه والمروه تخلقا
باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاق الصحابة والتابعين ٢.
والعلماء العاملين وفي الحديث سياتي على الناس زمان تقصر فيه المروة
وتدق فيه الاخلاق ويستغني فيه الرجال بالرجال والنسا بالنساء
واذا وجد ذلك فانتظروا العذاب صباحا ومسا وسئل عمرو بن العاص
عن المروة ما هي فقال هي عرفان الحق تعالى وتعاهد الاخوان بالبر و
كان السري السقطي يقول المروة هي صيانة النفس عن الادناس وعن ٢/١
وعن كل شئ شين العبد بين الناس وانصاف في جميع المعاملات فمن زاد
على ذلك فهو متفضل وكان ربعة رضي الله عنها يقول المروة في السفر
بذل الرجل الزاد وقلة خلافه على الاخوان وقلة المزح معهم ومن اخلاقهم
كثرة السخا والجود وبذل المال ومواساة الاخوان في حال سفرهم ونزولهم ١٤
وفي اقامتهم فان بذلك التعاضد في نصرة الدين الذي هو مقصودهم
وفي الحديث ان كان اغنياؤكم سخاءكم وامراؤكم خياركم وامور كم شورى
بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم

فسالم

فسالم شيئا فامر له باربعين شاة فرجع الى قومه وقال يا قوم اسلموا فان محمد
يعطي عطا من لا يخشى الفقر وكان عبد الله بن عمر يشترط على من يصاحبه في
السفر يكون هو الذي ينفق عليه وان يكون خادما ومؤذنا وكان عايشة
رضي الله عنها تقول الجنة دار الاسخيا والنار دار البخلاء وكان ابن عباس
يقول علامة الكريم ان يكون شيبه مقدم راسه ولحيته ومن لومه ان يكون
شيبه في قفاه وان لا ينفع غيره بشئ الا رغبة او رهبة وكان ابراهيم بن ادهم
رضي الله عنه يقول عجبا للئيم يبخل في الدنيا على صدقاته ويسخى بالجنة على
اعدائه وكان ابراهيم التيمي يجمع كل قليل جماعة من الفقراء ويجلسهم في المسجد
ويقول تعبدوا وانا اقوم بخدمتكم وكان بن ابي طالب يقول خير المسلمين
من اعانهم ونفعهم وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفي الخطيئة كما يطفي
الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لتطفي غضب الرب وتدفع
ميتة السوء وفي رواية ان الله ليدرا بالصدقة سبعين بابا من ميتة
ومن اخلاقهم كثرة محبتهم لاصطناع المعروف الى الاخوان ومحبة الاحسان ٢/
اليهم وادخال السرور على بعضهم بعضا وتقديم اخوانهم في ذلك على انفسهم
وكانوا لا يتوقفون على استحقاق اخوانهم لذلك ويقولون ان لم يكن اخوانا
اهلا للمعروف فنحن من اهله وكان الحسن البصري يقول ادركنا الناس
واحدهم يدخل الى دار اخيه فيرى السلة من الفاكهة فياخذها ويفرقها
وياكل منها بغير اذن اخيه فاذا جا اخوه ورأى ضيعة فرح بذلك
وكان سفيان الثوري يقول لا ينبغي لاحد ان يقول لاخيه اني احبك
في الله الا بعد ان يعرض على نفسه انه لا يمنعه شيئا طلبه منه ولو طلاق
واحده من زوجاتها ليتزوجها وسئل رضي الله عنه عن الاخوة في الله

فقال تلك طريق قد نبت فيها العشب فلا احد يسلكها وكان العمر بن العاص
يقول كلما كثر الاخلا كثر الغرما يوم القيمة ومن لم يواس اخوانه بخلا يقلد
عليه نقصوا من محبته بقدر ما نقص من عطائه والمراد بالغرما الحقوق
وكان علي بن بكار يقول ما رايت في زماني احدا قام بحق الاخوة مثل ابرهيم
كان يقسم الدرهم والتمرة بينه وبين اخيه وان كان غائبا حفظها له حتى
ياتي وقال رجل لبشير بن صالح اني لاحبك في الله فقال انظر ما تقول
فربما كان حمارك اهم عندك مني في تذكرة عند العشا والغدا فكيف
تدعي انك تحبني في الله تعالى وقال رجل لبشر الحافي اني لاحبك في الله تعالى
ما حملك على الكذب فقال كيف فقال تزعم انك تحبني في الله وبرذعة
حمارك اكثر قيمة من عمامتي وثيابي ومن اخلاقهم كثرة سؤالهم عن حال
اصحابهم ليواسوهم بما يحتاجون اليه من الطعام والنقود والثياب
ووفاء الديون وتحملوا الهموم لا مجانا وهذا الخلق قد صار اهله غربا
في هذا الزمان وربما يقول احدهم لصاحبه ايش حالكم فيقول طيب
ويكتم امره عنه لعلمه بفراغ قلبه منه وكثيرا ما يقول المار على اخيه ايش
حالكم ولا ينتظر الجواب فلا السائل يتربص حتى يسمع الجواب ولا المسؤل
يكلف نفسه النطق بالجواب لعلمه بان قوله ايش حالكم كلام بحكم العادة
لا يقصد صاحبه ثمرته ومن هنا كان سيدي علي الخواص يقول لك
ان لم يكن احدكم عازما على مواساة اخيه او على تحمل همومه او الدعا له
والا فلا يقول له ايش حالكم لانه نفاق وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول
اذا قلت لاخيك كيف اصبحت فقال محتاج الى طعام او وفاء دين فتلاهيت
عنه ولم تعطه حاجته فقولك ذلك سخرية به قال وذلك هو الغالب على اخو

هذا الزمان انتهى وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول انما
كانوا يسئلون بعضهم عن احوالهم لينبهوا الغافل على شكر الله تعالى على ما
هو فيه من نعمة الاسلام ونعمة العافية فيشكر الله فيحصل له ولهم
الخير وفي الحديث ان رجلا قال يا رسول الله كيف اصبحت فقال اصبحت خيرا
من ناس لم يعودوا مريضا ولم يشيعوا جنازة وقيل لابي بكر الصديق
رضي الله عنه كيف اصبحت فقال عبدا ذليلا لرب جليل اصبحت مامورا
لامر وقيل للحسن البصري كيف اصبحت فقال اصبحت مسلما لا اشرك بالله
شيئا وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت فقال اصبحت لا ادري انقلب الى
جنة او الى النار وقيل للامام الشافعي رضي الله عنه كيف اصبحت فقال
اصبحت اكل رزق ربي ولا اقوم بشكره وكان عيسى عليه السلام اذا قيل
له كيف اصبحت يا روح يقول اصبحت لا املك ما ارجوا ولا استطيع دفع
ما احاذر وانا مرتهن بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير افقر مني وكان
الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحنا ضعفا مذنبين
ناكل رزق ربنا ونعصيه وقيل لابي الدردا كيف اصبحت فقال اصبحت
بخير ان نجوت من النار وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت فقال اصبحت في
عمر ينقص وذنوب تزيد وكان ابراهيم بن ادهم من علامة صدق المتحابين
في الله عز وجل ان يبادر كل واحد منهما الى مصالح صاحبه اذا غاب عنه
وكان ابراهيم التيمي يقول الرجل بلا اخوان كالشمال بلا يمين وكان
ميمون بن مهران يقول من كان الناس عنده سوا فليس له صديق وكان
يقول كل من لم يسئل عنك بالغدوات ويصلك بالعشيات فاعدده من الاموات
٢١ انتهى ومن اخلاقهم اكرام الضيف وخدمته بانفسهم الا بعذر شرعي

وكان رسول الله صلى الله عليه يخدم الضيف بنفسه وكذلك ابو بكر وعمر وعثمان
وعلى وعمر بن عبد العزيز وكان السلف يعدون ليلة الضيف كانها ليلة
ليلة العيد لما يحصل لهم من السرور وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه
يقول لان اجمع نفرا من اصحابى على طعامى احب الى من اعتق رقبة
وكان عائشه رضى الله عنها يقول ليس من السرف التبسط للضيف
فى الطعام وكان الامام على رضى الله عنه يرى الحزن فى وجهه كل ليلة
لا يأتيه فيها ضيف وكان ابن خارجه يقول ما دعوت قط نفرا الى طعامى
واكلوه الا ورايت الفضل والمنة لهم على اكثر من منتى ومن اخلاقهم
عدم الاجابة الى طعام من فى ماله شبهه من امير ومباشر وعشار وقاضى
وكاشف وشيخ وشيخ بلد وتاجر يبيع على الظلمه وكان شقيق بن ابرهيم
رضى الله عنه يقول ما بقى فى هذا الزمان وليمة على موافقة السنة و
لقد ندمت على اجابتى للولايم فى الزمن الماضى وكان الامام عمر بن الخطاب
وعثمان ابن عفان رضى الله عنهما لا يجيبان الى حضور الولايم ويقولان
نخاف ان يكون فى مباهات وتفاخر وكان عبد الله بن مسعود يقول
نهينا ان نجيب الى طعام من لنا امارات الريا والسمعه فى طعامه او كان
فى بيته ستور كستور الكعبة ومن اخلاقهم كثرة الصدقة وكانت صدقات
الفقراء فى الزمن الماضى اكثر من صدقات الاغنيا لخدمهم وغناهم
لكمال او الطعام بخلاف الاغنيا ولا شك ان الفقراء اطيب نفسا بالصدقة
من الاغنيا لكمال ايمانهم ويقينهم ولعدم بخلهم بالمال على المحتاجين
وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اجعلوا الفضل عند خياركم
ليعودوا به على ذوى الحاجة منا وكان عبد العزيز بن عمر يقول الصلاة

توصلك الى نصف الطريق والصوم يوصلك الى باب والصدقة تدخلك
الى الملك وكان يقول الاموال عندنا ودائع للمكارم وقال لقمان لابنه
يا بنى اذا اخطات فتصدق ولو برغيف وكان ابو هريره رضى الله عنه يتزوج
احدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ولا يتزوج الحور العين بلقمة ولا تمرة
ولا خلقة هذا من العجب وكان ابن عمر يتصدق كثيرا بالسكر ويقول انى
احبه وقال قال الله تعالى وكان معاذ النسفى رضى الله عنه يقول من
يرى نفسه احوج الى ثواب صدقته من الفقير الى صدقته هو فهو
ممن ابطل صدقته بالمن لانه رأى نفسه على الفقير وعند ذلك يضرب
بها وجهه وكانت عائشه رضى الله عنها لا تحقروا من الصدقة من
الصدقة شيئا فان الحبة منها توزن يوم القيمة بجبال الاجر ومن اخلاقهم
بشاشتهم وعدم نهرهم له وحملهم له على انه ما سال الا لحاجة ولولا
الحاجة لما سئل وقد كان عيسى عليه السلام يقول من رد سائلا
خائبا لم تغش الملائكة بيته سبعة ايام وفى الحديث لولا ان بعض
المساكين يكذب ما افلح من رده ودخل على معروف الكرخى سائل
فلم ير عنده شيئا عنده يعطيه له فاعطاه نعله فبلغ معروفا انه باع
النعل فاشترى به فاكهه فقال معروف الحمد لله لعله كان يشتهى الفاكهه
منذ زمان وهو فقير فواسينا بثمنها ومن اخلاقهم انهم لا يتخذوا من
الاخوان الا من يعلموا من نفوسهم الوفا بحقه فان اخاك اذا لم توف
بحقه كان فارغ القلب منك وكان على بن ابى طالب يقول عليكم بالاخوان
فانهم عدة الدنيا والاخرة الا تسمعون الى قول اهل النار فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم وفى الحديث ما احدث عبد اخا فى الله

الا احدث الله له درجة في الجنة وكان المهلب بن ابي صفرة يقول الصديق
اعز من السيف الصارم في كف الرجل وكان يقول المودة لا تحتاج الى
قرابة والقرابة تحتاج الى المودة وكان الامام الشافعي رضي الله عنه
يقول لولا محادثة الاخوان في هذه الدار والتهجد في الاسحار
وما احببت البقاء فيها ومن اخلاقهم ترك معاداتهم للناس وكثرة ٨
مداراتهم لهم وعدم مقابلتهم احدا بسوء فالناس يعادونهم
وهم لا يعادون احدا وكان وهب بن منبه يقول من يذل الناس
لم يجد حلاوة الايمان وكان محمد بن الفضل يجالس اعداءه ويلاطفهم
بالكلام الحلو ويعزم عليهم ان ياكلوا عنده فقيل له في ذلك فقال
اخمد نار عداوتهم وكتب صفوان على باب داره رحم الله من لا
يعرفنا ولا نعرفه فانه لم يات لنا اذى الا ممن يعرفنا ومن اخلاقهم ٩
كثرة مكاتبتهم الى بعضهم بعضا بالنصح اذا بعدت الديار وقبول
المنصوح النصح وكتب الانطاكي الى بعض اخوانه الى متى انت يا اخي
تفرح بما يفتنك ويضرك وتحزن على ما ينفعك من نقص الدنيا
وحظوظها ومن اخلاقهم كثرة عزلتهم عن الناس وعدم كثرة مخالطتهم ١٠
الا لحاجة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول خذوا احظكم
من العزلة وكان طلحة بن عبيد الله يقول من خالط الناس سلب دينه
ولا يشعر وكان حذيفة بن اليمان يقول وددت اني اغلق باب
داري فلا اخرج لاحد حتى اموت وكان الشعبي يقول لم يجالس
الربيع بن خيثم في مجلس طول عمره الا مرة واحدة فجلس على باب
داره فسقط عليه حجر فشج راسه لا يدري من رماه فقال لقد

وعظت

وعظت يا ربيع فما خرج من بيته الا لضرورة حتى مات وكان علي رضي الله عنه
يقول سياتي على الناس زمان لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر
ولا يستقيم لهم الغنا الا بالنظر والبخل ولا يستقيم لهم صحبة الناس
الا باتباع الهوى فمن ادرك ذلك الزمان وصبر وحفظ نفسه اعطاه
الله ثواب خمسين صديقا وكان يقول بلغنا انه لا يكون الراحة لمومن في اخر الزمان
الا ان كان خامل الذكر بين الناس وكان حاتم الاصم يقول اجعل الناس
كالنار لا تدنوا منهم الا عند الحاجة واذا دنوت منهم فكن على حذر كما
تحذر من النار اذا قربت منها وكان ابو الدرداء يقول من خالط الناس
فلا بد ان يكذبوا عليه قلبه وكان جعفر بن حميد يقول من لم ينقص
كل يوم من اصدقائه واحدا فلا يفلح في الطريق وكان وهب بن منبه
الحق انه لا بد لك من الناس ولا بد من الناس منك فليكن كل منكما على
حذر من الاخر ولما قدم ابراهيم بن ادهم قالوا لسليمان الخواص الا تلقى ابرهيم
فقال اخاف اذا لقيته ان تزين له بكلام فاهلك وكان مالك بن انس
يقول تفقه ثم اعتزل وكان الربيع بن خيثم يقول لا ينبغي لاحد ان يعتزل
للعبادة الا بعد كمال التفقه في دينه وكان ابن عباس يقول خير جلوس
الرجل في قعر بيته لا يرى ولا يرى وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول
والله لقد حلت العزلة عن الناس قلت يعني وجبت كما في الحديث فقد
حلت شفاعتي اي وجبت وكان رضي الله عنه يقول اعتزلوا عن الناس
جهدكم فانهم سراق العقول وكان ابو بكر الوراق رحمه الله يقول لا تطمع
في الانس بالله ابدا وانت تخالط الخلق ولا تطمع في رضى الله وانت تخالط
الظلمة ولا تطمع في حب الله لك وانت تحب الدنيا ولا تطمع لين قلبك وانت

تخفوا على اليتيم وكان داود الطائى يقول لا تصلح العزلة الا للزاهدين
فى الدنيا اما الراغبون فى الدنيا فلا فائدة فى عزلتهم وكان يقول من اعتزل
عن الناس ولم يجعل الحق تعالى مونسا والقران محدثا فقد اخطاء الطريق
ولم تصح عزلته وكان مالك بن دينار يقول من يجالس النبى صلى الله عليه
وسلم وابى بكر وعمر فقد خابت عزلته فقيل له كيف تجالسهم فقال يدرس
القران بتدبر وينظر فى افعال رسول الله عليه وسلم وافعال اصحابه
واقوالهم فمن فعل ذلك فقد حادث الله تعالى وحادث رسول صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم وكان سيدى سفيان الثورى
يقول هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والرضى بالقوت وكان
يقول هذا اجتمعت بابى حبيب البدرى فقال لى يا سفيان ما رايتنا
خيرا قط الا من الله تعالى فما لنا لا نقبل على من لم نرى الخير الا منه ومن
اخلاقهم الزهد فى الدنيا وذمهم لكل من طلبها ومبالغة فى الزهد
حتى يصير ينطلق بالحكمة كانبياء بنى اسرائيل وراسهم فى المبالغة
فى الزهد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتى عليه اربعون
ليلة ما يوقد فى بيته مصباح ولا نار فقيل لعائشة فكيف كنتم
تعيشون فقالت بالاسودين التمر والماء وكانت تقول قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى كساء ملبد اى مرقع وازار من غليظ
وقد كان صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثل الدنيا كمثل رجل استظل
تحت شجرة ثم راح وتركها وكان ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه يقول
الزهد على ثلاثة اصناف فرض ويكون فى الحرام وسنة ويكون فى
الحلال وواجب وهو الزهد فى الشبهات وكان الزهد فى الرياسة اشد

من الزهد

من الزهد فى الذهب والفضة لانك تبذلهما فى تحصيلها وكان ابو سليمان
الدارانى يقول قد سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا واحسن ما رايناه فيه انه
الزهد فى كل شى يشغل عن الله تعالى حتى العلم والعمل اى بان دخل فيهما الرياء
والاعجاب او حب ثناء الناس او كان سببا لكبرهم له ونحو ذلك والا بان
اخلص فى علمه وعمله لا يصلح فى حقه الزهد فى ذلك لانه عمل يجمع قلب
العبد على ربه عز وجل وقال رجل لسفيان بن عيينة دلنى على زاهد اجلس
اليه من العلماء فقال له تلك ضالة لا توجد وكان محمد بن سيرين يقول
طلبوا الامام ابو حنيفة للدنيا فهرب منها وطلبنا نحن الدنيا فهربت منا
فانظر كم بين الرجلين وكان عيسى عليه السلام من رؤس الزهاد وكان يلبس
الشعر وياكل من ورق الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر
قوت غد وكل مكان ادركه المساء نام فيه وقيل له مرة يا روح الله الا تتخذ
لك حمارا تركبه فقال انا اكرم على الله ان يشغلنى بخدمة حمار واشترى
على بن ابى طالب رضى الله عنه مرة قميصا بثلاثة دراهم وهو خليفة
وقطع كمية من موضع الرسغين وقال الحمد لله الذى هذا من رياشه
وكان عبد الواحد بن زيد يقول من ضمنه بطنه دينه وكانت بلية
ابيكم ادم عليه السلام اكلة واحدة وهى بليتكم الى يوم القيمة وكان
الاحنف بن القيس يقول لا يرجع الشباب بالخضاب ولا الصحة بالدواء
وفى الحديث ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة من ماء وكان صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له و
عليها يحسد من لا فقه له وعليها يسعى من لا يقين له وكان الفضيل بن عياض

يقول ان الله تعالى جعل الشر كله في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا و
جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وكان مالك بن دينار
يقول حب الدنيا يخرج حلاوة الايمان من القلب وكان عيسى عليه السلام
يقول لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب كما لا يستقيم جعل الماء و
النار في اناء واحد وقال كعب الاحبار مر عيسى عليه الصلاة والسلام على
رجل نائم فقال له الا تقوم فتعبد الله عز وجل فقال قد عبدته بافضل
العبادة فقال له وما هو فقال تركت الدنيا لاهلها فقال صدقت ثم فقد
فقدت الماء العابدين ومن اخلاقهم تقديمهم عمل الحرفة والصنعة التي تكفهم ٢٩١
عن السؤال الناس على سائر نوافلهم واجباتهم الموسعة وقد سئل الحسن
البصري رضي الله عنه عن رجال يحتاج الى الكسب ولو ذهب لصلاة
الجماعة احتاج ذلك النهار الى سؤال الناس فقال يكتسب يصلي منفردا
انتهى وفي الحديث ان الله عز وجل علم ادم عليه السلام الف حرفة وقال
قل لولدك يتعلمون هذه الحرف ويأكلوا بها ولا يأكلوا بدينهم وفي الحديث
ايضا ان روح القدس نفث في روحي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي
رزقها وان ابطاء عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء
الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله فان الله لا ينال ما عنده بمعصية
وكان ابو قلابة اذا كان الرجل في معاشه ساعيا فهو افضل من الجالس
في المسجد وكان ابو سليمان الداراني يقول ليس الشان ان تصف
قدميك للعبادة وغيرك يتعب لك انما الشان ان تحوز رغيفك في
بيتك ثم تغلقه وتصلي فلا تبالي بعد ذلك باي داق دق دق الباب
بخلاف من قام في الصلاة يصلي وليس عنده شيء ياكله فيصير كل داق دق

الباب

الباب يقول ان معه رغيفا وكان سفيان يقول لاصحابه عليكم بالحرفة
فان عامة من اتى ابواب الامراء انما اتى هم من الحاجة فاعلم واعمل به و
٢٩٢ من اخلاقهم حب المساكين والتواضع لهم والنفرة من مجالسة الاغنياء
من غير احتقار لهم علا بقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا و
امتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين اعلانه رحمه الله تعالى الا تفارق
المساكين وكان سليمان بن داود عليهما السلام مع ما اوتيه من الملك
اذا دخل المسجد يجالس المساكين فقالوا له في ذلك فقال مسكين جالس
مسكينا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يحبان ينادي يا مسكين
ولم يكن اسم احب الى الله من ذلك وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول
اتباع الانبياء في كل زمان الفقراء والمساكين دون الاغنياء والمتكبرين
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا للفقراء
وكان اذا جلس عندهم يضع الركبة ويقول انما انا عبد اجلس كما يجلس
العبد وكان يقول من سره ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده
من النار قلت معنى الحديث كما قاله بعض العلماء ان يحب وقوف الناس
بين يديه وهو جالس كما يفعل الامراء وبعض المشايخ العجم والله وكان
ابو الدرداء رضي الله عنه يقول لا يزداد عبد يمشي الناس معه الا
بعدا من الله وفي رواية لا يزداد العبد بالمشي خلفه من الله تعالى الا بعدا
وكان عبد العزيز بن ابي رواد يقول والله لا اعرف الان على وجه الارض
شرا مني وكان ميمون بن مهران اذا دعي الى وليمة يجلس بين الصبيان
والمساكين ويجلس الاواني بعدهم وثارت ريح حمراء يوما فسالوا عبد الله
بن حنظلة ان يدعو الله لهم فقال يا ليتني لا اكون سببا لهلاككم فراى بعضهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال ان الله تعالى دفع عنكم شر
ذلك بدعاء عبد الله بن مقاتل حين خضم نفسه وقد اعطاه الله تعالى
من الملائكة لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا حتى مات ومن اخلاقهم عدم ٢٩٦
حبهم الرياسة في شيء من امور الدنيا لما فيها من كثرة الافات وقد كان
الفضيل بن عياض رضي الله عنه يقول من احب الرياسة على الناس
لم يرتفع ابدا ومن اخلاقهم محبة المال للانفاق لا للامساك وتقديمهم ٢٩٧
لحوف من الحاجة الى الناس على خوف الحساب من جهة ذلك المال الذى
ربما دخله الشبهه وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول حفظك لما في
يدك لتقضى به حاجتك اولى من تصدقك به وطلبك لما في يد غيرك
وكان يقول خصلتان لا يزال العبد بخير ما حفظهما درهمه لمعاشه و
دينه لمعاده وكان ابو قلابة رضي الله عنه يقول عليكم بملازمة
الصنعة فانكم لن تزالوا كراما على اخوانكم ما لم يحتاجوا اليهم ووقف
سائل مرة على باب مالك بن دينار فخرج له برغيف فاعطاه له فلم يزل
يسال ومالك يخرج له ما عنده من فرش وغيره حتى لم يبق في الدار
شيء فقال زدني فقال لم يبق عندى شيء الان تبيعني وتاخذ به
ثمني وكما وقع للخضر عليه السلام فترك السائل وانصرف واعلم ذلك
وانفق كلما دخل يديك ولا تدخر شيئا الا على نية اسم غيرك من العايلة
والاخوان ومن اخلاقهم كثرة الصدقة ليلا ونهارا بكل ما فضل عن حاجاتهم ٢٩٨
لكن بشرط الحل في ذلك فان في الحديث ولا يكسب عبد مالا من حرام
فيتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار
وكانت عايشة رضي الله عنها تقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ياعايشه

ياعايشه اذا طبختم قدرا فاكثروا من مرقتها وكذلك قال صلى الله عليه
وسلم لابي الدردا يا ابى الدردا اذا صنعت طعاما فاكثر المرقة وتعاهد
جيرانك وتصدقت عايشه رضي الله عنها مرة بسبعين الف درهم
وان درعها لمرقع وفي الحديث ان عابدا عبد الله تعالى سبعين سنة
ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله بها ثم انه نزل يغتسل فمر به مسكين
فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة
وفي الحديث باكروا بالصدقة فان البلا لا يتجاوزها انتهى وكان الصحابه
لا يخرجون لصلاة الصبح الا بشيء يتصدقون به على اول مسكين يلقونه
ولو لقمة او زبيبة او بصلة وكان يحيى بن معاذ يقول ما اعرف حبة توزن
بجبال الدنيا الا حبة الصدقة وكان الفضيل بن عياض يقول من عرف
كل ما يدخل جوفه كتب عند الله صديقا ومن لم يصحبه الورع في فقره
اكل الحرام المحض ولا يشعر وكان بشر الحافي يقول الورع هو ترك
التاويل والاخذ بالرخص عند الضرورة وكانت عايشه رضي الله عنها
تقول انكم لا تغفلون عن الورع وهو افضل العبادة وكان عبد الله بن
عباس يقول الحلال اشد من نقل جبل الى جبل ومن اخلاقهم سرورهم ٣٠٠
بالفقر وضيق المعيشة وغمهم بالغنا اذا اقبل وقد كان راس الزاهدين
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا
وفي رواية كفافا وهو الذى لا يفضل عن غذائهم ولا عشائهم شيء منه
وكان صلى الله عليه وسلم يقول من اصبح امنا في سربه اى نفسه معافا
في جسمه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقالوا
مرة لابراهيم بن ادهم رحمه الله بما نلت هذه الحكمة نراك تنطق بها فقال

ببدن عار وقلب خايف وبطن جايع وفي رواية ثلثها بقلة الاكل وقلة
النوم وقلة الكلام وعدم ادخار شيء لغد وكان الفضيل بن عياض رضه
يقول لو كشف الله الحجاب عن قلب العبد اذا ضيق عليه المعيشة ورى
ما اعد الله له في الجنة لسئل ربه ان يضيق عليه المعيشة في الدنيا و
اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا رايت الدنيا
مقبلة عليك فقل ذنب عجلت لي عقوبته وكان ابو هريرة يقول ثلاثة
يدخلون الجنة بغير حساب رجل اراد ان يغسل ثوبه فلم يجد له خلقة
يلبسها ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين ورجل طلب شرابه فلا يقال
له ايهما تريد وقال الفضيل بن عياض رايت في منامي محمد بن واسع
ويوسف بن اسباط وهما واقفان على باب الجنة فنظرت يدخل اولا
فاذا هو يوسف بن اسباط فقلت لمالك هناك لم دخل هذا قبل هذا
فقال لانه كان له قميص واحد وكان لهذا قميصان وكان بن عياض رضي الله
عنهما يقول من اكرم الغني واهان الفقير فهو ملعون وكان يقول حب
الفقراء من اخلاق المرسلين والفرار من صحبتهم من صفات المنافقين
وكان ابراهيم ادهم رضي الله عنه يقول كان الفقرا في الثوري كالامرا
وجاءه مرة فقير فجلس بعيدا عنه فقال تقرب الي يا اخي فلو انك
كنت غنيا ما قربتك مني وكان ابو حازم رضي الله عنه يقول من
خاف من الفقر لم يرفع له الى السماء عمل اي لانه ما خاف الفقراء لا
لتهمته لربه عز وجل والمتهم لله عدو الله و في الحديث جاهدوا
نفوسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله
وفي الحديث ايضا لا تميتوا القلب بالطعام والشراب فان القلب

كالزرع

كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وفي الحديث اذيبوا طعامكم بذكر الله و
في رواية والصلاة ولا تناموا عليه يعني من غير ذكر فتقسى قلوبكم و
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اياكم والبطنة فانها شغل في الحيوة
ونتن في الممات وفي الحديث ايضا شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة
وكان فتح الموصلي اذا اشتد به المرض والجوع يفرح بذلك ويكثر من الشكر
وكان شقيق البلخي رحمه الله يقول انما العبادة الجوع فان المعدة اذا
امتلات قدرة الاعضاء عن العبادة وكان مالك بن دينار يقول قلت
لمحمد بن واسع طوبى لمن كان له قوت يغنيه عن الباب فقال طوبى لمن
اصبح جايعا وهو عن ربه راض وكان يحيى بن معاذ يقول جوع الصديقين
كرامة لهم وجوع الزاهدين جوع حكمة وكان ابو سليمان الداراني يقول
الجوع عند الله وفي خزاينه لا يعطيه الا لمن احبه وكان يقول احلى ما
ما تكون العبادة الي اذا الصق بطني على ظهري وكان يقول لان اترك
لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصباح وكان وهب بن
منبه رضي الله عنه يقول التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما
للاخر من اين جئت فقال امرت بسوق حوت في البحر الى فلان اليهودي
لياكل فقال الاخر ومن اين جئت فقال امرت ان اريق زيتا اشتهاه
فلان العابد خوفا ان ياكل فينقص حظه في الاخرة وفي الحديث طوبى
لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع وفي الحديث ما ملا
ابن ادم وعاء شرا من بطنه وفيه ايضا ليس من عمل احب الى الله
من جوع وعطش وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل نؤوم

اكول وشروب وقال بعض الصحابة اول بدعة حدثت بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم
وقال ذو النون ما اكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت
او هممت اولا بمعصية وقال سهل بن عبد الله لما خلق الله الدنيا جعل
في الشبع المعصية والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة وقيل الافات
كلها مجموعة في الشبع والخيرات كلها مجموعة في خلو البطن وقال بشر
الحافي ان الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق
وقال لقمان لابنه اذا امتلئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة و
٢٠٤ قعدة الاعضاء عن العبادة ومن اخلاقهم كثرة الخوف (الحزن) على تفريطهم
في جنب الله لاسيما عند رؤيتهم المقابر وتذكرهم احوال يوم القيمة
وخوفهم من الفتنة ما داموا في هذه الدار وقد كان صلى الله عليه
وسلم يقول لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتني
كنت مكان صاحب هذا القبر انتهى وكان عثمان بن عفوان اذا مر بقبر
بكى حتى يبل لحيته لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه بكا
فقيل له في ذلك اخذني ما اخذ الولد من الرقة وكان حسن البصري
يقول لما مات هرم بن حيان جاءت سحابة فظلت على سريره فلما واريناه
رايناها رشت على قبره حتى ساح الماء ولم ينزل على من حول قبره و
قطرة وقد سئل الامام النوي عن ذلك فقال صحيح ذلك وكان حاتم
الاصم يقول من مر بالمقابر ولم يتفكر في نفسه ولم يدع لنفسه ولهم
فقد خان نفسه وخانهم وكان سفيان بن عيينه يقول ما قاح لي فراغة
بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي كل ذنب استغفرته منه

وما استغفرت منه بعضهم من

وكان

وكان صالح بن بشر يقول رايت عطاء السلمي بعد موته فقلت له يرحمك الله
لقد كنت طويل الحزن في دار الدنيا فما فعل الله بك فقال اعقبني ذلك له
الحزن راحة طويلة وفرحا شديدا قال ورايت الفضيل بن عياض بعد
موته فقلت له ما فعل الله بك فقال لم ار شيئا افضل من نادية الفرايض
نعليكم بها وكان الحسن البصري يقول ان الله عز وجل يقول لادم عليه
السلام يوم القيمة انت عدل بين ذريتك وبيني فمن رجح خيره على شره
مثقال ذره دخل الجنة حتى يعلم اني لا اعذب الا ظالما لنفسه وكان
ابا ذر رضي الله عنه يقول ان خوف الحساب لم يترك على بدني لحما
٣٠١ ومن اخلاقهم كثرة اشتهادهم في تربية المريدين بما ادب الله به عباده
المقربين من الانبياء والصالحين في الكتب السالفة ليعلموا المريدين
تقوى الله تعالى لم تزل مامورا بها في كل شريعة فقد اوحى الله تعالى الى
داود يا داود طوبى لمن يقف في مواقف الخطائين ولا يجلس في مجلس
المستهزئين ولا يجالس المغتابين ولا يصاحب النمامين يا داود من
ذكر عيوب الناس اوهم ان يذكر عيوبهم فضحت على رؤوس الاشهاد يوم
القيمة يا داود من غض طرفه وصان فرجه وحفظ لسانه فهو عندي
من المقربين فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اذا ترك العلماء
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ذهب الهيبة وصارت في السفهاء
والا شرار طوبى للمنفردين عن الناس الصامتين عن عيوبهم طوبى لمن
ترك فراشه في الليل وقام يناجيني في شدة البرد والناس نائمون
تحت لحفهم طوبى لقوم عظموني ولم ينظروا الى فروج الحرام خوفا
مني يا داود قل لبني اسرائيل تغفلون عني والاقدام جارية لا تغفل

وقل للذين اغلقوا ابوابهم واخو استورهم عند المعاصى انى اهلكتهم و
خسفت بهم الارض يا داود قل لبنى اسرائيل يخافون البسخ وجوههم الهيبة
والقبول والجعل عدوهم تحت قدمهم كالكبش تحت السكين يا داود علامة
من لحببه ان يقل كلامه ويكثر استغفاره غض طرفك عن حرم المؤمنين
تاتك الدنيا وهى راغمة يا داود قد احاط سخطى بالزناة الذين يفسدون
حرم المؤمنين يا داود قل لبنى اسرائيل لا يعصون سترا ويجعلون فى اعينهم
اهون من عبادى فانى اعذبهم فى النار وقد اوحى الله تعالى الى داود
قل للعقلاء يخافون منى اذا ازادت عليهم نعمتى ويكثروا من النوح كلما
زادت عليهم النعم فان ذلك استدراج لهم ولو انى اجبتهم لجردتهم عن
الدنيا كن لليتيم كالاب الشفيق اكثر رزقك واكفر ذنبك يا داود ما اعظمنى
من عصانى يا داود ان وضعتك فمن ذا الذى يرفعك وان رفعتك
فمن ذا الذى يضعك يا داود لا تجالس من يحب الرياسة ولا من يصحبك
لنفسه يا داود ان نبيا وجل غريب نزل بفقير فاواه الى منزله واطعمه
وسقاه ابتغاء وجهى فلما تناوم الفقير اكثر النظر الى حرمه كالمتلصص
فمسخته خنزيرا واعددت عذابا اليما وذلك جزاه عندى يا داود
غض طرفك وصن لسانك فانى لا احب الفاسقين واكثر من الاستغفار
لنفسك وللخاطئين يا داود لبنى اسرائيل لا يقعوا فى اعراض الناس
فان الوقيعة فيهم تزيد القلب عمى وموتى طوبى لمن نظر فى عيب نفسه
فاصلحه يا داود انقطع الى انكس لك رؤس الملوك والبس وجهك
المهابة يا داود عجبا لمن تعلم انى اسئل عن النقير والقطمير والفتيل
كيف تقر عينه فى الدنيا يا داود كنت حسن الصوت قبل ان تعصينى

وكانت

وللحكمة فى صدرك فلما عصيتنى تغيرت احوالك يا داود نح على نفسك كالمرأة
الثكلى على ولدها يا داود كم من ركعة طويلة بكى صاحبها وخشع لا تزن
عندى جناح بعوضة لانى رايته اذا مرت به امراة نظر اليها واستلذ
بكلامها وان استامنه جار على عياله راودهن على انفسهن وساوهن
بالنظر يا داود طهر ثيابك الباطنة فان الظاهرة لا تنفعك عندى
وقد اوحى الله تعالى يا داود كم من لسان فصيح اخرسته عند النطق
بالشهادة عند الموت لكثرة وقيعة فى الناس يا داود قل لبنى اسرائيل
يردوا التبعات التى عليهم قبل الموت فانى قسمت على نفسى ان ابعث
صاحب التبعات وفى عنقه طوق من نار يكوى بكل تبعة كيته يا داود
انظر بعينك الى بهيمة ماتت وانتفخت وتورمت وصارت جيفة
مع انه ليس عليها ذنب واحد من نظرى اليك يا داود ليس كل من
صلى قبلت صلاته ولا كل من عبد رفعت عبادته وقد اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود قل لبنى اسرائيل كم من ليلة جاهدتمونى
بالمعاصى ثم اصبحتم تخادعونى بالاستغفار من غير اقلاع عنها
كانهم تعاملون من يغيب عنه مكركم وخدعكم يا داود قل لبنى اسرائيل
ضونوا احدا منكم من ناظر الى اخيه وهو فى فاحشة فاشاعها عنه
وقد اتى هو اكبر منها ولم افضحه ولو شئت لفضحته يا داود من طلب
العلم لغير وجهى ادخلته به النار يا داود وعزتى وجلالى من كنت
عليه لا ينفعه عمل يا داود ثيابا ما لمعاصى لها دلل على الابدان وتحج
على الوجه لا يزول بالماء وانما يزول بالمغفرة طوبى للذين باطنهم
من ظاهرهم يا داود رايحة الجيفة تغيرها الايام ويزول ورايحة

الذنوب لا تزول الا بالتوبة النصوح يا داود يستحسن العلانية عند
المخلوقين سيئ السريرة عندي ما كل من نكس راسه كان من الصالحين
انما الصالح من احمد انا ذكره واشغله بعيبه عن عيوب الناس واقيمه
بين يدي في الظلام اذا ما الناس هجعوا اقول له يوم القيمة تمن علي
ما شئت اعطه لك طوبى للذين يبيحون الصغيرة عند غيرهم
واضمروا ان لا يذنبوا فان العاصي في جوف بيته ان اطبق بيته فا
هلككم من ساعته يا داود جروح الابدان تبرا وجروح الذنوب
لا تبرا الا بتوبة اقبلها انا يا داود ليس المخلص من كثرة ثناء الناس
عليه ولكن المخلص من اطلعت على سريرته فوجدتها موافقة لعلانيته
سوا يا داود لا تطلب الاولاد فليس كل الاولاد تنفع رب ولد
اشغل والده عن ربه واشغل عليه قبره نارا يا داود احفظني بظهر
الغيب احفظك في الملا واكثر من ذكري اكثر لك من الرزق يا داود
قل لبني اسرائيل ليسبل احدكم بستره بينه وبين الناس اذا عصى ولا
يدع الستر مكشوفا بيني وبينه اما تستحون مني يا عبيد السوء سوف
ترون ما اصنع بمن عصاني يا داود انذر بني اسرائيل بنا قوم يخرجون
في آخر الزمان ينكح الرجل الرجل لا تستحيون مني ولا يكتفون بما احل
لهم من الحلال اتلعنهم بيوتهم التي عصوا فيها وعزتي وجلالي لاذيقنهم
العذاب الاليم يا داود من امراة مجلس الرجل من امراته ثم خافني فترك الزنا
واستحيى مني بنيت له غرفة متصلة بعرشي وكتبت له على بابها هذا
جزاء من خاف على دينه وفر الى ربه يا داود اذا حدثتك نفسك بالنوم
في الليلة الباردة فاذكر مضاجع اهل النار وصولة الزبانية يذهب

عنك

عنك النوم ولا تحكم على قط باني قد غفرت لك حتى تلقاني يا داود لو اطلع
عبادي على غضبي عليهم اذا عصوني لما قووا ولكني احتجبت عنهم غضبي
رحمة بهم يا داود ضع خدك على التراب وناجيني يا داود من قام بين يدي
في الظلام في البرد وترك زوجته وفراشه فهو عبدي حقا يا داود ما لي
اراك مطمئنا لا تبكي مع الباكين ولا تنوح مع النائحين فلو رايت النار
وزبانيتها وما اعددت للزناة فيها الذبت كما يذوب الرصاص في النار يا
داود لخد منك على وجهك في الثلج اهون عليك من مناقشتي لك في الحساب
وعزتي وجلالي لاوقفن الخصوم واسال لاحدهم عن وزن الخردلة ص
حديث عظيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم يعمل في صخرة صماء
ليس لها باب ولا كوة يخرج عمله للناس كائنا ما كان اخرجه احمد وابو
داود وابن حبان والحاكم عن ابي سعيد رضي الله عنه يا داود قل لبني
اسرائيل ترمقون وتزنون باعينكم كانكم تظنون اني لا اراكم يا داود
من عصاني في الخلوات اطلعت المخلوقين على مساوي اعماله وفضيحته واد
خلته النار انتهى ما سمعت من مواعظ الزبور وكذلك من اخلاقهم
مناقشة نفوسهم اذا كرهت احدا من المسلمين ويقولون ان كراهتك
لاخيك بغير حق ولم لا حملته على المحامل الحسنة فيكون احدهم على
نفسه فيما اذا كرهها احد وكرهت هي احدا او على ذلك درج السلف
الصالح كلهم فكانوا ابدا يناقشون نفوسهم ويتهمونها في كل شيء ادعت
التصدق فيه من مقام او حال يقولون لها هيهات تكذب عليك
في نسبتك الى الولاية والصدق مثلا كما تقولين في الهذا الغريب الذي
وصفك بذلك المعاني لا يجوز لك نسبته الى الكذب الا بطريق شرعي و

وليس معك طريق وكان مالك بن دينار يقول مكثت سنة ونفسي تنازعني
عن دعوى الاخلاص وانا اقول لها تكذبني حتى مررت بامراة في ازقة
البصرة فسمعتها تقول لاخرى انا ارد على ان تنظرى الى مراى فهذا
مالك بن دينار فانظرى اليه فقلت لنفسي اسمعى لقبك القبيح من هذه
المراة الصالحة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول لان احلف
انى مراى احب الى من ان احلف انى لست بمراى وكان يعاتب نفسه
ويقول كنت في شبيبتك فاسقا عاصيا وصرت في كهولتك مرائيا منافقا
والله للفاسق والعاصي اخف ثما عند الله من المرائى والمنافق
لان العاصي ينتظر من المغفرة ولا كذلك المرائى والمنافق لانه
ذنب قل ان يشعر به صاحبه حتى يتوب منه ومر ابراهيم بن ادهم
على حلقة الاوزاعي فراى زحاما كثيرا قال لو كان هذا الزحام على ابى
هريرة لعجز عنه فبلغ ذلك الاوزاعي فترك التحدث من ذلك اليوم
وقدم عيسى بن يونس مكة فاحاط به الناس في المسجد الحرام ثم قام
وترك المجلس من ذلك اليوم وكان سفيان الثورى يقول ان استطعت
ان تكون عالما لا يعرفك الناس فافعل فان الناس لو عرفوا ما في نفسك
لاكلوا لحمك وكان حاتم الاصم يقول من اكتفى بالكلام من العلم دون
الزهد والفقه تزندق ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام تبدع
ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والكلام تفسق ومن جمع بين هذه
الامور تخلص وكان مالك بن انس رحمه الله يقول اذا احب العالم
ان يعرف بالعلم فهو اشر من ابليس وكان رضى الله عنه يقول لو ان
العلماء احتجوا ان يعرفوا ما عرفوا وكان بشر بن الحارث رضى الله عنه

يقول

يقول ما رايت احدا في زماننا هذا اوثق لعلم الا اكل بدينه ما عدا
اربعة ابراهيم بن ادهم ووهيب بن الورد وسليمان الخواص ويوسف
بن اسباط وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثر منافقي
امتى قراؤها وكان حبيب العجمي يقول ما كنا نظن ان نعيش الى زمان
صار الشيطان يلعب بالقران فيه كما يلعب الصبيان بالكرة وكان
سفيان الثورى يقول والله لا اخشى اذا قيل يوم القيمة ابن القراء
الفسقة ان يقال وهذا منهم فخذوه ومن اخلاقهم عدم الغفلة عن ١٤
محاربة ابليس والتجسس على معرفة مكائده ومصائده وهذا الخلق
قد اغفله غالب الناس اليوم فان ابليس كما لم يغفل عنا كذلك ينبغى لنا
ان لا نغفل عنه فانه بالمرصاد حريص على وقوع العبد في سخط الله عز وجل
وفي الحديث ان ابليس يضع عرشه في البحر ويبعث سراياه وجنوده
فاعظمهم عنده منزلة اعظمهم فتنة للناس وكان وهب بن منبه
رضى الله يقول قال ابليس يا رب اما ترى حب عبادك لك ومع
ذلك يعصونك وكثرة بغضهم لى مع كثرة طاعتهم لى فاوحى الله
عز وجل الى الملائكة انى قد غفرت لهم كثرة عصيانهم لى بمحبتهم و
تجاوزت عن كثرة طاعتهم لابليس بكثرة بغضهم له وكان الفضيل
بن عياض يقول ان ابليس يقول ان ظفرت من ابن ادم باحدى
ثلاث لا اطلب منه غيرها اعجابه بنفسه واستكثاره عمله ونسيانه
ذنوبه وفي رواية باحدى اربع بزيادة الشبع وهو اعظمها فان
الثلاثة تنشا منه وكان وهب ابن منبه يقول اياكم ان تغووا الشيطان
في العلانية وتطيعوه في السر فان كل من بات عاصيا بات الشيطان

عروسا لاجله وكان الفضيل يقول ما قطع ظهر ابليس شئ مثل
من احسن عمله قال تعالى لنبلوكم ايكم احسن عملا لم يقل اكثركم عملا
وكان مجاهد يقول ليس عندى شئ اقطع لظهر ابليس عند النكبة
والفترة مثل قول لا اله الا الله فان العنته قال لقد لعنت ملعبا وكان
سفيان بن عيينه يقول ان ابليس له ثلاثمائه وستون صكا فيها
غروره ومكايده ببنى ادم فلا بد كل يوم ان يعرضها كلها على القلب
واحدا بعد واحد وكان محمد بن واسع يقول لا بليس كيد اعظم من ر
رئوية العبد نفسه على اخوانه فانه اذا مات على ذلك اخذ ملك الموت
وربه ساخط عليه لم ينفعه شئ من اعماله وكان شقيق البلخى يقول
شيئان يغيظان الشيطان عدم الاكتراث بوسوسته وعدم التفكر
فى ذات الله عز وجل وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول اشتهى من
الدنيا شيئين اخا صالحا اذا تعوجت قومنى وصلاة الجماعة و
من اخلاقهم عدم مبادرتهم الى الدعا بالشفا اذا دخلوا على مريض
بل يتربص احدهم حتى يعلم سبب مرضه ذلك وانتهاه ثم يدعوا
فان المرض ربما كان درجات فلا ينبغى الدعاء برفعه وكذلك اذا
كان كفارة لذنوبه لا ينبغى الدعا برفعه وكذلك القول فيه اذا كان عقوبة
فيصبر العائد حتى تبلغ العقوبة حدها ادبا مع الله تعالى وان كان
المدهم لذته له حال مع الله تعالى فله ان يسئله الشفا من باب الفضيلة
والمنة فاعلم ذلك فانه نفيس والحمد لله رب العالمين وقد ورد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل السوق قال اللهم انى اسئلك من خير
هذه السوق واعوذ بك من الكفر والفسوق وكان ابن السماك اذا دخل السوق

يقول

يقول يا اهل السوق سوقكم كاسد وخياركم حاسدا وبيعكم فاسد فاستقطعوا
١٧ لانفسكم ومن اخلاقهم كثرة الحلم على من جنى عليهم وكظم الغيظ باخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب
اذا انتهك حرمات الله عز وجل وقال ابليس ليحيى بن ذكريا عليهما الصلاة والسلام
اعظم مصاعدى الغضب فيه اسرت خيار الناس وعوقتهم عن الجنة و
كان الفضيل بن عياض اذا قيل له ان فلانا يقع فى عرضك يقول والله
لاغيظن من امره يعنى ابليس ثم يقول اللهم ان كان صادقا فاغفر لى
وان كان كاذبا فاغفر له وقال رجل مرة لابى هريرة انت ابو هريرة
فقال نعم فقال انت سارق الهريرة فقال ابو هريرة اللهم اغفر لى ولاخى
هذا ثم يقول هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستغفر
لمن ظلمنا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من احتمل كلمة سفه
٢١ كتب له عشر حسنات ومن اخلاقهم عملهم على ترك النفاق بحيث يتساوى
سريرتهم وعلانيتهم فى الخير فلا يكون لاحدهم عمل يفتضح به فى الدنيا
والاخرة ومن وصية ابى العباس الخضر عليه السلام لعمر بن عبد العزيز
لما اجتمع به فى المدينة المشرفة وساله ان يوصيه بوصية فقال له يا
يا عمر ان تكون وليا لله تعالى فى العلانية وعدوا له فى السر فان لم يتساوى
سريرته وعلانيته فهو منافق والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار
فبكى عمر حتى بل لحيته اقول فى معنى هذا الكلام يعنى صورته مع افضا
كمال الصوفية باطنه مع الغفلة وفى حديث يخرج فى اخر الزمان
اقوام يختلون اى يطلبون الدنيا بعمل الاخرة اى الدنيا بالدين يلبسون
جلود الضان من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم الذئاب يقول الله

عز وجل ابى يغترون ام على يجترون فبى حلفت لابعثن على اولئك
فتنة تدع فيهم خيران قال التفكر والاعتبار يخرجان من قلب المؤمن
عجائب الحكمة فتسمع منه اقوالا ترضاها الحكما وتخضع لها رقاب العلما
ويعجب منها الفقها ويسارع الى حفظها الادبا وفى الحديث اصدق
المؤمنين ايمانا اكثرهم تفكرا فى الدنيا واشد الناس فرحا فى الجنة اكثرهم
فى الدنيا وكان بشر الحافى يقول لا ينبغى لامثالنا ان يظهر من اعماله الصالحة
ذرة فكيف باعماله التى دخلها الريا والاولى بامثالنا الكتمان قال
وقد بلغنا ان عيسى عليه السلام كان يقول للحواريون اذا كان
يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى
الناس انه صائم وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول
الدعا حقيقة ترك الذنوب فمن تركها فعل الله ما يختار من غير
سؤال وكان وهب بن منبه يقول رايت فى بعض الكتب الالهية
يقول عز وجل كيف تدعونى وقلوبكم معرضة عنى واوحى الله تعالى
الى عيسى عليه السلام قل لبنى اسرائيل لا يدخلوا بيتا من بيوتى الا بقلوب
طاهرة ونفوس وجلة وابصار خاشعة وجوارح مطهرة من الفلوس
فمن دخل بيتى وهو متلطخ بشئ من الذنوب لعنته واعلمهم انى لا
اجيب لاحد منهم دعوة ولاحد من الخلق عليه مظلمة او فى بطنه
لقمة من حرام وكان ابو سليمان الدارانى يقول اذا غلب على الخوف
نسد القلب كما عليه لحمق من امثالنا وكان الشعبى يقول خف من
الله تعالى ياتيك الامن فانه احب من رجا لك فيه حتى ياتيك الخوف
وكان اسحق بن خلف يقول ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه وهو

مرتكب للمعاصى وانما الخائف الذى ترك الذنوب الذى يعذب الله تعالى
عليه ومن اخلاقهم انشراح صدورهم اذا صرف الله عنهم الدنيا وذلك ١٣
لانهم يحبون الله ورسوله ومن احب الله ورسوله كره الدنيا ضرورة
لانها تشغل عن كمال العبادة فكان من اكرم اخلاقهم انقباض قلوبهم
من الدنيا اذا اقبلت عليهم وتامل لما كان الصحابة رضى الله عنهم اكثر
الناس محبة ورسوله صلى الله عليه وسلم كيف كان اكثرهم يبيت و
يصبح وليس عنده دنيا ولا درهم ولا طعام ودعى بذلك صلى الله عليه
وسلم لاهل بيته لشدة محبته لهم ومحبتهم له فقال اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا وذلك لكون الانسان يصير مقبلا على ربه لا يعوقه
عنه عائق لا سيما ان كان ليس عنده صبر على الجوع فانه يكون مقبلا
على الله تعالى ليلا ونهارا يسأله قوته لا يفتر عن ذلك لحظة نظير المريض
وكان عبد الله بن عياض يقول من حبس الله تعالى عنه الدنيا ثلاثة ايام
وهو عنه راض وجبت له الجنة وكان عبد الله بن حكيم المزنى التابعى رضى الله
عنه يقول ان الله تعالى ليجوع عبده المؤمن ويذيقه مرارة الدنيا
محبة فيه كما تجزع المراة ولدها الصبر للعافية قلت ومن ادلة القوم
فى محبتهم صرف الدنيا عنهم لاجل محبة الله تعالى ورسوله قوله صلى الله
عليه وسلم لمن قال له انى احبك يا رسول الله فقال ان كنت تحبنى
فاعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه
ومن اخلاقهم الفرح فى الدنيا كلما حيل بينهم وبين الوصول الى شهواتهم
فيها ويقولون لولا ان الله يحبنا ما حال بيننا وبين ما حجبنا عنه
وكان مالك بن دينار يقول قال لى معلمى عبد الله الرازى انا رايت

القرب من الله فاجعل بينك وبين الشهوات حايطا من حديد واوحى الله
الى داود عليه السلام حرام على قلب حب الشهوات ان اجعله اماما
للمتقين وكان عمر بن عبد العزيز يقول اميتوا الشهوات فى نفوسكم ولا
تحيوا انفسكم فى الشهوات فان من جعل شهوته تحت رجليه فر الشيطان
من ظله كما ان من جعلها فى قلبه ركبه الشيطان فصرفه كيف شاء
بتسليط الله وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الجنة بجملتها
ترجع الى شيئين الرهبات والشهوات ولا يدخل احد الجنة الا بترك
الرهبات والشهوات وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما سياتى
على الناس زمانا يكون همة احدهم بطنه وفرجه ودينه هواه و
سيفه لسانه وكان حسن البصرى يقول ليست الداية الجموع
باحوج الى اللجام من نفسك وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول
ما عالجت شيئا اشد من نفسى مرة معى ومرة على وكان كفوا انفسكم
عن الشهوات قبل ان يخاصم بعضكم بعضا ويلعن بعضكم بعضا قلت
ومن ادلة القوم فى ترك الشهوات قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرة سويق اللوز فرده وقال هذا طعام المترفين فى الدنيا وكان ابو هريرة
رضى الله عنه يقول ما زاد على لون واحد فهو طعام الفساق وكان
اويس القرانى يلتقط الخرق من الزابل ويخيطها ثم يلبسها انتهى وكان
ابراهيم بن ادهم يلبس الجبة السودا فيكثر عليها القمل حتى تصير بيضا
من كثرة القمل فقالوا له مرة كم لهذه الجبة عليك فقال لها على تسع
سنين ما نزعتها وكان حسن البصرى يلبس الثوب حتى يتسخ بالمرة

فاذا قالوا

فاذا قالوا له لا تغسل ثوبك قال الامر اعجل من ذلك وقال على لعمر بن
الخطاب رضى الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فرقع قميصك
واخصف نعلك وقصر املك وكل دون الشبع وكان ابو ادريس
الخولانى يقول لاصحابه لا تعتنوا بغسل ثيابكم فلقلب نقى فى ثوب
دنس فى ثوب احب الى الله من قلب دنس فى ثوب نقى وكان ابن
مسعود يقول كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخشن منكم
ثيابا وارق قلوبا وسياتى زمان يكون اهله ارق ثيابا و
اخشن قلوبا وكان مالك بن دينار لا يزيد على العبا ليلا ونهارا
وصيفا وشتاء وكان ثابت البنانى زمنا وكان ابو اسحق السبيعى
كانت طيالس الناس تعرف فوتهم وما كان يلبس الطيلسان على امته
الاشهر بن حوشب فقط وكان انس بن مالك يقول ما شبهت
الناس اليوم فى السواحل وعليهم الطيالس الا بيهود الخيبر قلت
ودليل القوم فى هذه الخلق قوله صلى الله عليه وسلم البذاذة من
الايمان والبذاذة هى لبس الخلق من الثياب فلا يبالى باى ثوب
٤٢ لبس ومن اخلاقهم عدم اسرافهم فى الحلال اذا وجدوه وكان
السلف الصالح يقدمون كسب الدرهم الحلال على سائر مهماتهم و
كان عبد الله بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول كسب
الحلال امر على المؤمنين من نقل الجبل الى الجبل وسمع الحسن بن
على رضى الله عنهما شخصا يقول اللهم ارزقنى حلالا صافيا
فقال يا هذا سل ربك رزقا لا يعذبك عليه فان الرزق الصافى
انما هو رزق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان ابراهيم بن ادهم

كثيرا مما يحصد الى اخر النهار فاذا اعطوه اجرته نظر اليها وقال لاصحبة
انى اخاف ان يكون لم ابذل قوتى كلها التى طلبها منى صاحب الزرع
ثم يتركها ويذهب طاريا تلك الليلة وكان يرى الحضور مع الله
تعالى فى عمل الحرفة شرطا للحل وكل شئ عمله بلا حضور لا ياخذ له
اجرة وامتنع بعضهم من الاكل مما يدخل يد بنى ادم وذهب الى
البرية ياكل من حشيشها فنودى فى سره هب انك تتورع من اليوم
فما تفعل فى القوة التى اكتسبتها حتى مشيت الى هنا فانظر من اين
اكتسبتها انتهى ومن اخلاقهم تقليل اعمالهم فى عيونهم ومن حيث ١٧
كسبهم لها ولو كانوا على عبادة الثقلين ثم لا يرون انهم قاموا
بذرة من حقوق الربانية وكان السلف الصالح رضى الله عنهم اذا
بلغ احدهم اربعين سنة اطوى فراش النوم وكان كهمس بن الحسن
يصلى كل يوم الف ركعة فما يخرج منها حتى يصير يزحف من
الضعف ثم يقول لنفسه بعد ذلك قومى لهذه العبادة الاخرى
يا ماوى كل شر فلما ضعف اخر عمره كان يصلى خمسمائة
ركعة ثم يبكى ويقول يا ويلى نقصت عملى وكان اويس القرنى
اذا غلبه النوم انتبه مرعوبا ثم يقول اللهم اعوذ بك من عين
نوامة ونفس لوامة وبطن شبعانة وكان ابو مطيع يقول
لم يكن للامام ابى حنيفة فراش فى الليل ابدا انما كان ينام جالسا
وكان سفيان بن عيينه يقول ما رايت اورع من الامام ابى حنيفه
ولا اعبد منه وكان ابو مسهر لا يضع جنبه على الارض لا ليلا
ولا نهارا لدوام شهوده انه فى حضرة ربه وكانت مخدته ركبته

وكان

وكان ينام لحظة واحدة بين الظهر والعصر وكان ابن ادهم كثيرا ما يصلى
العشاء ثم يضطجع الى الصباح ويقول ان خوف النار لم يدعنى هذه
الليلة انام ولا اصلى ولا اتكلم ثم يقوم للصبح بضوء العشا وكان عبد
الرحمن ابن ابى ليلى يقول ادركت مائة وعشرين من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما كان منهم محدث الا ويود ان اخاه كان كفاه
ولا مفتى الا وكان يود ان اخاه كفاه الفتيا وكان عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما يقول ان لله عبادا اسكتتهم خشية الله وانهم لهم الفصحاء وكان
يحيى بن سعيد يقول لاصحابه اذا استحلى احدكم الحديث فلا يحدث
وقال خلف بن اسمعيل لسفيان الثورى انى اراك تنشط اذا حدثت الناس
ويعلو صوتك واذا كنت لم تحدث اراك كالميت فقال له يا اخى اما علمت
للكلام فتنة وكان سفيان ما جلس الى اكثر من ثلاثة انفس الا انكرت
على نفسى وكان انس بن مالك يقول همة السفهاء الرواية وهمة العلماء
الدراية والرعاية وكان ابرهيم النخعى يكره القصص يعنى الوعظ ويقول
ان على بن ابى طالب رضى الله عنه دخل مسجد الكوفة فراى قاصا يقص على
الناس فقال من هذا فقالوا شخصا يحدث فقال ان هذا رجل يقول
اعرفونى اعرفونى انا فلان انا فلان وكان السرى السقطى يقول ليس
الخائف الذى تاخذه رقة عند تلاوة القران مثلا انما الخائف
الذى ترك طعامه وشرابه وطلق النوم حتى يعلم اين ينتهى حاله وكان
عبد الله بن المبارك ينشد فى الليل اذا ما الليل اظلم كابدوه فيسفر عنهم
وهم ركوع اطار الخوف نومهم فقاموا واهل الامن فى الدنيا هجوع و
كان البصرى لا يراه احد الا ظن انه قريب عهد بمصيبة لما فيه

من الحزن وكذلك كان اصحابه كلهم وسئل سعيد بن جبير عن الاغترار
بالله ما هو فقال تمادي العبد في العصيان ثم يتمنى على الله المغفرة و
كان اضلاع ميسرة العابد قد بدت من كثرة المجاهدة واذا قيل له
ان رحمة الله واسعة يزجر القايل ويقول صحيح ذلك ولولا سعة رحمته
لاهلكنا بذنوبنا في طاعاتنا فضلا عن معاصينا انتهى ومن اخلاقهم كثرة الصبر
على البلايا والنوازل وعدم سخطهم على مقدور ربهم وكانوا يقولون من
لم يصبر فليتصبر لحديث ومن يتصبر يصبره الله تعالى فعلم ان من لم
يصبر عن فضول الدنيا من طعام ومنام وكلام وجماع وغير ذلك
لا تقول له الملائكة يوم القيمة سلام عليكم بما صبرتم بل هو يوم
القيمة في هم وغم وعدم امن بخلاف من سلمت عليه الملائكة فانه يامن
ويزول عنه الغم والهم ويصير في سرور وقد كان عبد الله بن مسعود يقول
في قوله والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس الفقر والضر المرض
وكان ابن عياض يقول ان الله تعالى ليواصل البلا بعبده المؤمن فينزل
عليه بلاء حتى يمشي وليس عليه خطيئة وشكى الاحنف بن قيس وجع
ضرسه لعمه فقال يا احنف اراك تشكو من ضربان ضرسك ليلة واحدة
والله ان لي بذلك نحو ثلاثين سنة ما اظن ان احدا اشعر بذلك غيرك
في هذا الوقت وكان ابو سليمان الداراني يقول مر موسى عليه الصلاة
والسلام برجل قد خرقت السباع لحمه ونهشت بطنه فوقف عليه موسى
عليه السلام متعجبا وقال يا رب انه لمطيع لك فما ذا ارى فاوحى الله تعالى
الى موسى انه سئلني درجة لم يبلغها بعمله فابتليته لا بلغه تلك الدرجة
فقال ابو سليمان سبحان الله لو شاء الله لبلغه تلك الدرجة بلا بلوى ولكن

سبحان

سبحان الحكيم العليم وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول من شكى مصـ
مصيبة نزلت الى غير الله لم يجد للعبادة بعد ذلك حلاوة حتى يتوب الله
عليه وكان وهب بن منبه يقول اوحى الله تعالى الى العزير عليه السلام
اذا نزلت بك بلية فاحذر ان تشكوني الى خلقي وعاملني كما اعاملك
فكما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعد الى عملك القبيح كذلك لا ينبغي ان
تشكوني الى خلقي اذا نزل بك بلا وكان يقول لما اهلك جميع مال ايوب
عليه الصلاة والسلام دخل بيته ونزع ثيابه وقال هكذا اخرج عنها
وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود اصبر على
المؤنة حتى تاتيك من الله المعونة وكان ابن عباس رضي الله عنهما
يقول اول شي كتبه الله في اللوح المحفوظ اني انا الله لا اله الا انا محمد
رسولي من يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي
فليتخذ له ربا سوائي ومن صبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا
وبعثته مع الصديقين وكان ابو هريرة رضي الله عنه من ذروة الايمان
الاستسلام للرب جل جلاله واوحى الله الى داود عليه السلام يا داود
ان سلمت لي ما اريد كفيتك ما تريد وان لا تسلم لي ما اريد اتعبتك فيما
تريد ثم لا يكون الا ما اريد وقيل لعمر بن عبد العزيز ما تريد فقال اريد
ما يريد الحق تعالى وان كانت نفسي تكره المعاصي وكان ميمون بن مهران
يقول من لم يرض بالقضا فليس لحمقه دواء وكان عبد الله بن سلام
رضي الله عنه يقول شكى نبي من الانبياء ما ناله من المكروه الى الله تعالى
فاوحى الله تعالى اليه كم تشكوني ولست باهل ذم اهكذا لابدء شانك
في علم الغيب فلم تسخط على حسن قضائي عليك افتريد ان اغير الدنيا

من اجلك وابدل اللوح المحفوظ بسببك واقضي لك بما تريد دون ما
اريد ويكون ما تحب دون ما احب انا فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا
في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثواب النبوة ولا اوردتك النار
ولا ابالي وكان محمد بن واسع يقول ما تم فعل الله تعالى الا ويجب
على العبد شكر ربه عليه من حيث انه حكيم عليم واما من حيث كسب
العبد فيجب عليه عليه عدم الرضى به ان كان مظمرما تعظيما لجناب
الله عز وجل ويروى عن يونس عليه السلام انه قال لجبريل عليه
دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه
وذهب بشعره وبصره فذهب يونس اليه فسمعه يقول الهي متعتني
بقوتي كما تشاء ثم سلبتني قوتي كما تشاء وابقيت لي فيك الامل
بالخير ذلك الفضل علي ولما سقطت مقاديم اسنان معاوية رضي الله
عنه قال الحمد لله الذي لم يذهب سمعي وبصري وكان بشر بن الحارث
يقول اجتمعت في سياحتي برجل مجذوم ابرص اعمى مجنون وقد صرع
في الشمس والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه ووضعته في حجري فلما افاق
قال من هذا الفضول الذي يدخل بيني وبين ربي عز وجل فوعزته و
جلاله لو قطعني اربا اربا ما ازددت فيه الا حبا وروي ان عيسى
عليه السلام مر برجل اعمى ابرص اجذم مقعد مضروب الجنبين بالفالج
وقد تناثرت لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به
كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام اي شيء صرفه الله تعالى عنك
فقال اصرف عني الجهل به وخلع علي معرفته فقال له عيسى عليه السلام
صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو من احسن الناس وجها وذهب

ما كان ثم صحب عيسى عليه السلام وصار يعبد الله تعالى معه الى ان رفع
عيسى عليه السلام وكان الفضيل بن عياض يقول الرضا عن الله تعالى
افضل من الزهد في الدنيا لان الراضي عن الله تعالى لا يتمنى فوق منزلته
وكان ابو سليمان الداراني يقول كثيرا لو ان الله ادخلني النار وكنت عنه
راضيا وكان سليمان الخواص رضي الله عنه يقول من قال يا رب ارض
عني فليس هو براض عن ربه عز وجل وكان بكر بن عبد الله المزني يقول
ما قال عبد الحمد لله الا وجب عليه بذلك شكر اخر ومر وهب
بن منبه على رجل اصم ابكم مقعد مصاب فقال له شخص هل بقي على
هذا من نعمة فقال وهب نعم ساعة ما ياكل وما يشرب وتسهيله
عليه اذا خرج فذلك اعظم من النعم الظاهرة التي فاتته وكان الشعبي
يقول لو قاس الناس البلا بما فوقه لوجد وا بعض البلايا عافية وكان
بن اسلم يقول مكتوب في التوراة العافية هي الملك العظيم الخفي وكان
ابن عباس رضي الله عنهما يقول في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك ورزقك والباطنة
ما ستره تعالى عن الناس من عيوبك وذنوبك وكان بشر الحافي من شكر
بلسانه دون بقية اعضائه فقد قل شكره قيل له وما شكر الاعضا
فقال شكر العينين ان يرى الخير فيعيه والشر فيستره قيل فما شكر الاذنين
فقال ان سمع خيرا حفظه وان سمع شرا نسيه قيل وما شكر
اليدين فقال لا تاخذ بهما ولا تعطي الا حقا قيل فما شكر البطن فقال
ان يكون مليانا من العلم والحكم قيل فما شكر الفرج فقال الا يفعل به
الا ما ابيح له فمن فعل ما قلنا فهو من الشاكرين ففتش يا اخي نفسك

هل شكرت ربك كما شكر هؤلاء القوم ام قصرت عن ذلك واستغفر
لربك والحمد لله رب العالمين وكان عمر بن عبد العزيز يقول لا يبلغ احد
مقام التقوى حتى لا يكون له فعل ولا قول يفتضح به في الدنيا و
الاخرة وقد كان عمر بن عبد العزيز وقال له رجل يوما متى يبلغ العبد
سنام التقوى فقال اذا وضع جميع ما في قلبه من الخواطر في طبق
وطاف به في السوق لم يستح من شيء فيه وكان ايضا يقول ليست التقوى
في صيام النهار وقيام الليل مع التخليط فيما بين ذلك وانما التقوى
ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله فمن زاد بعد ذلك فهو خير
الى خير وكان كثيرا ما يقول علامة المتقي ان يلجم عن الكلام كما يلجم المحرم
حال احرامه وكان يقول يحتاج المتقي ان يكون عالما بالشريعة كلها و
الا خرج عن التقوى وهو لا يشعر وكان ابو الدرداء يقول من كمال
التقوى ان يخاف العبد من ربه في مثقال حبة من خردلة وسئل
ابو هريرة رضي الله عنه عن التقوى فقال هي طريق الشوك يحتاج الماشي
الى صبر شديد وفي الحديث اتق عما نهاك الله عنه تكن اورع الناس
وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لو صمتم حتى تكونوا كالاوتاد
وصليتم حتى تكونوا كالحنايا ما نفعكم ذلك الا ان كان معكم ورع
صادق وكان ابو هريرة رضي الله عنه يقول جلساء الله يوم القيامة هم
اهل الورع والزهد وكان الفضيل بن عياض يقول لا خير في فقه لا
ورع فيه كما لا خير في الصلاة لا خشوع فيها ولا مال لا جود فيه وكان
يونس بن عبيد يقول الورع هو الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس
مع كل خطرة فمن لم يكن كذلك فليس هو بورع وكان ابن سماك يقول

من طلب

من طلب العلم بلا عمل كان قدوته ابليس ومن طلب الرياسة كان قدوته
فرعون ومن طلب الورع كان قدوته الانبياء والاصفياء وكان الضحاك
يقول ادركنا الناس وهم يتعلمون الورع وهم يسافرون الثلاثة اشهر
واكثر لمن يتعلمون منه ذلك وصاروا اليوم لا يطلبون ذلك ولا يعملون به
لو تبينوا عليه فلا حول الخ وكان محمد بن سيرين اذا راى شبهة في شيء
تركه كله ولو جميع بيت المال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول كنا ندع
تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وكان السلف الصالح اذا
وقع منهم في مكان ثم تذكروه ورجعوا وراوه في مكانهم لا ياخذونه
ويقولون يحتمل ان هذا وقع من غيرنا وما يدرينا اخذه بعدنا وقيل
لرباح القيسي حدثنا بما رايت من ورع عمر بن عبد العزيز فقال دعانا
ليلة الى طعامه فبينما نحن ناكل اذ قال لنا امسكوا فان زيت هذا السراج
من زيت العامة الذي انظر فيه دواوينهم وذهب الامام ابو حنيفة رضي الله
عنه يوما الى غريمه ليطالبه بدين وكان لغريمه شجرة على بابه يستظل
بها الناس فوقف الامام في الشمس وطالبه فقالوا له الا تجلس في الظل
الذي عليه فقال لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قرض جر
نفعا فهو ربا انتهى وكان المغيرة بن شعبة اذا اشترى شيئا من طرفين
الاسواق يعدله به عن الشارع ويشتريه منه خوفا ان يجر على احد المشي لحيا
ذلك الما ومن المغيرة وكان العايذ بالله المزني رضي الله عنه اذا حقنه
بغائط في الطريق يتغوط في ثيابه ثم يغسلها ولا يتغوط في فناء
بعد لاحد وكان بكر بن عبد الله المزني يجعل ميزاب سطحه الى صحن داره
دون الشارع فان يشوش على احد وماتت عنده هرة فحفر لها ودفنها

في داره ولم يرمها في المزابل خوفا ان يوذي ريحها احدا من المسلمين وكان
الفضيل بن عياض يقول اياكم ان تشتروا الى مكة بشيء من الشبهات فان
رد دانق من حرام او شبهة افضل عند الله من خمسمائة حجة فيها شبهة
وكان ابن المبارك لا ياكل من كسب غلامه لانه يقول اذا باع شيئا اللهم صل
على محمد ومدحه حتى يشتريه الناس وكان يقول لغلامه اياك ان تقول
للمشتري ان هذا رخيص بل يبعد له وانت ساكت وكان يونس بن عبيد
لا يبيع البرود والاكسية في يوم غيم ويقول ان المشتري وتماراه خشنا وهو
معيب وكان الاصمعي يقول طلب من الفقهاء الرخصة عند الشبهات فعلها زاد
الى النار وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى
يدع ما لا باس به حذرا مما به باس وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة
رضي الله عنه كن ورعا تكن اعبد الناس وروي انه صلى الله عليه وسلم
وجد تمرة في منزله او على الطريق فقال لولا ان اخشى ان تكون من تمرة
الصدقة لاكلتها وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا
من الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال وقال الحسن البصري رحمه الله مثقال
ذرة من الورع خير من الف مثقال من الصوم والصلاة وقال كهمس
اذنبت ذنبا وما انا ابكي عليه منذ اربعين سنة وذلك انه زارني اخ لي
فاشتريت بدانق سمكة مشوية لياكلها فلما فرغ اخذت قطعة طين من
جدار جاري حتى غسل بها يده ولم استحله قبل اخذه لها وعن بعضهم انه كان
يكتب رقعة وهو في بيت بكراء فاراد ان يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله
ان البيت بالكراء ثم خطر بباله انه لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا
يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب وقيل رجع ابن المبارك

رحمه الله من مرو الى الشام في قلم استعاره فلم يرده على صاحبه ففتش يا اخي
نفسك واتبع سلفك في الورع واستغفر ربك واترك دعوى الصلاح فان
من لا تورع عنده فهو من جملة الفسقة عند الورعين ليس له في مقام الصالحين
ومن اخلاقهم التودة والسكينة والوقار وقلة الكلام وذلك لكمال عقلهم رضي الله
عنهم وكثرة تجاربهم ان من كان قليل العقل لا يصلح ان يكون داعيا الى الله تعالى
ويفسده اكثر مما يصلحه وفي الحديث كرم الرجل دينه ومروته عقله وحسبه
خلقه وكان قتادة يقول الرجال ثلاثة رجل ونصف رجل ولا شيء فالرجل هو من كان
له عقل ورأي ينتفع بهما ونصف الرجل يشاور العقلاء ثم يفعل والذي لا شيء
هو الذي لا عقل له ولا رأي ولا يشاور العقلاء وسئل علي بن ابي طالب رضي الله
عنه اين مسكن العقل فقال في القلب قيل فاين مسكن الرحمة فقال الكبد فقيل
فاين مسكن الرأفة فقال في الطحال فقيل فاين مسكن النفس فقال في الرئة
وكان وهب بن منبه يقول من ادعى العقل ولم يكن همته الاخرة فهو كاذب و
كان محمد بن زياد يقول لا يكمل عقل الرجل حتى يجد من صديقه ومن اخلاقهم
كثرة الصمت والنطق بالحكمة تسهيلا على الطالب نظير قوله صلى الله عليه وسلم
اعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلم اختصارا وكان ابن المبارك يقول خذ الحكمة
ولو من حائط وكان ابو الحسن الهروي رضي الله عنه يقول تهيج الحكمة من
اربع خصال البكاء على الذنب والاستعداد للموت وخلو البطن وصحبة الزهاد في
الدنيا وكان سفيان الثوري يقول اشتغل محمد بن يوسف بالعبادة فورث
الحكمة واشتغلنا بكتابة العلم فورث الخصومات يعني الجدال وكان يحيى بن معاذ يقول
تهوي الحكمة من السماء فلا تنزل على قلب من فيه هذه الاربع خصال وهي
الركون الى الدنيا وحمل هم غد وحسد لاخ وحب شرف على الناس فمن كان صاحب

خصلة من هذه الخصال فالحكمة لا تدخل قلبا اذا علمت ذلك فمن جملة حكمهم
رضي الله عنهم قول حاتم الاصم لا تنظر الى من والنظر الى ما قال وخذ الحكمة
حيث وجدتها فانها ضالة المؤمن فاذا وجدتها فيهها ثم ابتغ ضالة الاخرى
ومنها قول ابي حنيفة رضي الله عنه من رضي بدون قدره رفعه الله فوق
غايته عليك بالحكمة فانها تجلس المسكين مجالس الملوك ومنها قول اكثم بن صيفي
رحمه الله الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة
لقرين السوء فكن بين المنقبض والمنبسط وقيل ليحيى بن معاذ متى يذهب
من العبد الحكمة والعلم والحلم فقال اذا طلب الدنيا بشيء من هذه الثلاث وكان
امام الشافعي رضي الله عنه يقول اظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه
ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه وكان ابو امامة
رب سكوت انفع من كلام ورب قول ادمغ من عمود وكان يقول رب بعيد
انفع من قريب ورب عبد انفع من ولد او شريف ومنها قول يحيى بن معاذ
رضي الله عنه عند الكف عن المحارم يكون رضى الرب وعند نزول البلاء
يظهر حقايق الصبر وعند طول الغيبة يظهر مواساة الاخوان وبالاذهان
يفهم العلم وبترك الطمع تثبت المواخاة وبصلاح النية تدوم صحبة الاجواد
وقوله من كان القرآن قيده كان اطلاقه منه الموت ومن ذبحته العبادة احياه
الفوز ومن ترك شهوة الدنيا عوضه الله شهوة ذكره ومنها قول بشر الحافي
اذا اضرت النوافل بالفرايض فاتركوا النوافل وقوله من لم يستحسن الحسن
لم يستقبح القبيح فاعلم فاحذر من الدنيا حتى يتجلى باطنك فهنالك ينطقك
الله تعالى بالحكمة وتصير حكيم زمانك ومن اخلاقهم عدم الحسد لاحد من ٢٦
المسلمين وبذل النصيحة لكل مسلم بطريق الشرعي وفي الحديث ان الحسد يأكل

الحسنات

الحسنات كما تأكل النار الحطب كان سفيان الثوري يقول من شان الحسود عدم الفهم فمن
اراد جودة الفهم فلا يحسد احدا وقد مجد الزاهدي من دخل في بطنه فضول الطعام
اخرج من لسانه فضول الكلام وكان سفيان الثوري يقول لان ارمي الناس بالسهام اخف
من رميهم باللسان لان السهام تخطي واللسان لا يخطي وكان بن عبد الله يقول قلت
يا رسول الله اكثر ما تخاف علي فقال هذا واشار لسانه صلى الله عليه وسلم ومكث
بن المعتمر اربعين سنة لا يتكلم بعد العشاء بلغو ومكث الربيع بن خثيم قبل موته
بعشرين سنة لا يتكلم بكلام الدنيا وكان حماد بن سلمه اذا تكلم بكلمة لغو فعاقب
نفسه بصوم سنة متتابعة ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يضع الحجر في
فمه عدة سنين حتى تعود قلة الكلام لما حضرته الوفاة صار يخرج لسانه يقول
هذا هو الذي اوردني الموارد وكان وهب بن منبه يقول انما اتخذ الله ابراهيم
خليلا لكونه كان شديد الخوف منه وكانوا يسمعون خفقان قلبه من مسيرة
ميل انتهى وكان حماد بن زيد لا يجلس قط الا مستوفزا فقيل له في ذلك فقال
انما يجلس مطمئنا من كان امنا من عذاب وانا غير امن نزوله علي ليلا ونهارا وفي
الحديث عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم ومقربة الى ربكم وتكفير
لخطاياكم ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء عن الجسد وكان الامام زين العابدين
رضي الله عنه يقول نام يحيى بن زكريا عليهما السلام ليلة عن ورده وكان قد شبع
من خبز الشعير فاوحى الله تعالى يا يحيى لو اطلعت على جنة الفردوس اطلاعة
لذاب جسمك ولبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المسوح
وكان بشر الحافي وابو حنيفة ويزيد الرقاشي ومالك بن دينار وسفيان الثوري
وابراهيم يقومون الليل كلهم على الدوام حتى ماتوا وقالوا لبشر الحافي الا تستريح
لحظة في الليل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام حتى تورمت قدماه

وقطر منها الدم مع ان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنب وما تاخر فكيف
انام ولم اعلم ان الله غفر لي ذنبا واحدا وقال رجل لابراهيم بن ادهم اني لا اقوي
علي قيام الليل فصف لي دواء فقال له لا تعصيه بالنهار وهو يقيمك بين يديه
في الليل فان الوقوف بين يديه في الليل من اعظم الشرف والعاصي لا يستحق ذلك
الشرف وكان الفضيل بن عياض يقول بلغنا ان الله تعالى حين يتجلى بين المدعون
لمحبتي في النهار اليس كل محب يحب خلوة لحبيبه فيها فالان مطلع على احبابي
يكلموني على الحضور معط ويخاطبوني على المشاهدة وغدا اقر اعينهم في جنتي
ومن اخلاقهم شدة الجوع بطريق الشرعي وان لم يجب واشياء حلالا طووا الليالي
والايام وقد جربوا فوجد والنور كله والخير في خلو الباطن حتى انهم قالوا في المثل
الساير في البطن انما كان صوته قويا جهوريا لكونه خالي الجوف انتهى وقد ادركنا
جماعة كثيرة من الفقرا كانوا على قدم التصدق والجوع حتى كان احدهم لا يدخل ٢
للخلاء الا كل سبعة ايام حياء من الله تعالى ان يكثر تردد احدهم للخلاء ٣
وهو مكشوف العورة وانتهى امر سيدي الشيخ تاج الذاكرين الى انه صار يتوضأ
في كل اثني عشر ايام مرة وكان سيدي علي الشهادي المشهورة بالذوب يأمر
كل من لقيه بالجوع ويقول انه صلاح المؤمن وصاحب الجوع ان لم يطع الله
لم يعصيه لعدم وجود داعية الى المعاصي وفي الحديث لا يؤمن احدكم حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وكان عيسى عليه السلام يقول لا يكون الرجل
صالحا حتى يتساوى عنده الذهب والتراب وقد كان المسلم البجاني رحمه الله
تعالى يقول لما ضرب الدنيا والدرهم وضعهما ابليس على جبهته وقبلهما وقال
من احب كما فهو عبدي حقا وكان كهمس بن الحسن لا يمسك بيده دينارا ولا
درهما ويقول والله لجراب بعر احب الى من جراب ذهب وكان الحسن البصري

يقول

يقول دخلت على فقير فرايت عيناه قد غارتا من الجوع فقلت له خذ هذين الدرهمين
فاشتر بهما شيئا فكل فقال بقدرة تعالى ان يقويني على عبادة هذه الليلة بلا طعام
واني اخاف ان يبيتا عندي فاموت فلم اشتر بهما وان رسول الله صلى الله عليه
قبض ولم يجد وافي بيته دينارا ولا درهما ولما حضرت محمد بن كعب القرظي
التابعي الجليل الوفاة انفق ماله كله فقالوا له هلا ادخرت شيئا لذريتك فقال
ادخاره لنفسي اولى واما ذريتي فادخرت لهم فضل ربي ولما حضرت الوفات
للحسن البصري قال لامراته هاتي الدرهمين الذين عندك فاتته بهما فتصدق
بهما وقال اخاف ان مت وهما عندي ان تحرق النار ما بين لحيتي الى عانتي وكان
يحيى بن معاذ يقول النفقة والاكل والشرب قد منع قلوب الغافلين عن كل خير
ولدرهم واحد يتصدق به الانسان في حياته خير له من الف دينار بعد موته
١٠٢ ومن اخلاقهم عدم وضعهم جنبهم في الارض الا عند العجز عن الجلوس وعلمهم
١٠٣ في القران ان الله تعالى يسامحهم بمثل ذلك ومن اخلاقهم رقة قلوبهم وكثرة بكائهم
على تفريطهم في حقوق الله عز وجل فلعل الله تعالى يرحمهم وكان على هذا القدم ابو بكر
الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الله بن عمرو ابو الدردا
وغيرهم وكان لعمر بن الخطاب خطان اسودان في وجهه من مجرى الدموع وكذلك
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذلك كان لعمر بن عبد العزيز ويزيد الرقاشي
والفضيل بن عياض والبشر الحافي ومعروف كرخي وكان عمر بن عبد العزيز اذا
غلبه النوم يجول في الدار وينشد وكيف تنام العين وهو قريرة ولم تدر
في اي المحل تنزل وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما تمر عليه الاية في ورده
من الليل فيسقط مغشيا عليه حتى يصير يعاد اياما كما يعاد المرضى وكان
الامام ابو حنيفة رضي الله عنه اكثر يسكب من انارين الايمان عند الموت ومن

اخلاقهم عدم استشراف نفوسهم الى هدية احد جاء من الحجاز او الشام مثلا
فلا يحدث احدهم نفسه بان فلانا سيهدي الى شيئا شيئا او سدسا او فاكهة
ونحو ذلك ابدا بل هم غافلون عن مثل ذلك وكذلك اذا اهدوا الى من جاء من السفر
المذكور شيئا ابتداء لا تحدثهم نفوسهم بانه سيكافيهم على ذلك بل هم غافلون
عن ذلك وليس ذلك من باب سوء الظن باخيهم انما هو من باب ترك الطمع وكان
رضي الله عنه ايام خلافته لا ينام ليلا ولا نهارا وانما هي خفقات راسه وهو
جالس وكان يقول ان نمت في الليل ضيعت نفسي وان نمت في النهار ضيعت
رعيتي وانا مسئول عنهم وكان عمر بن عبد العزيز طول ليلة يبكي ويجول في داره
ويصرخ الى الصباح وكثيرا ما يقع مغشيا عليه وكان يصلي في سطوح غرفته
فيبكي في سجوده حتى تجري دموعه وتتقاطر من الميزاب على النائمين
تحته حتى يظنوا انه سحابة مطرت وكانت رابعة العدوية كذلك وبكاء
داود عليه السلام وبكاء داود الطائي وبكاء سفيان الثوري وبكاء طول
الليل والنهار وكان كعب الاحبار يقول لان ابكي من خشية الله حتى يخرج
من عيني قطرة واحدة احب الي من ان اتصدق بجبل من ذهب وانا غليظ
القلب وكان الفضيل بن عياض يقول ليس البكاء بكاء العين انما البكاء بكاء
القلب فان الرجل قد تبكي عيناه وقلبه قاسي وكان يقول بكاء المنافق يكون
من راسه لا من قلبه وكان سفيان الثوري يقول رحمه البكاء عشرة اجزاء
واحد منها لله والتسعة كلها رياء فاذا جاء ذلك الجزء الذي في السنة مرة
واحدة نجا صاحبه من النار ان شاء الله تعالى قلت لا يكمل مقام الرجل في البكاء
الا ببكاء عينيه وقلبه والباكي باحدهما ناقص لا سيما ان كان اتباع فان
بكاه بالقلب لا يذوقه اتباعه فيحتاج الى بكاء العين ضرورة وان كان مقامه

قد ارتقى

قد ارتقى عن ذلك والله اعلم وكان صالح رحمه يقول الذنوب تطمس القلوب
ولا يزيل ذلك الطمس الا شدة البكاء ومن اخلاقهم ظنهم بنفسهم الهلاك بسبب
تقصيرهم في الطاعات فضلا عن وقوعهم في المعاصي الظاهرة ويقولون
الرجا في الله تعالى ان يعفو عنا هو تحصيل الحاصل وانما ان في احدهم ان
الله تعالى يؤاخذه على النقير والقطمير ليخف وقوعه للحساب يوم القيمة فان
من لم يحاسب نفسه هنا فيا طول وقوفه للحساب هناك فنسأل الله
اللطف وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول لا يكمل الفقير حتى يكون ليلا
ونهارا كان احوال يوم القيمة نصب عينيه وذلك ليستعد لها من هذه
الدار وكان اويس القرني رحمه الله يقول استعمل الخوف في هذه الدار فانه
انجى لك من العذاب وكان عيسى عليه السلام اذا ذكروا يوم القيمة بين يديه يصيح
كصياح الثكلى ويقول لا ينبغي لابن مريم ان يسكت عند ذكر القيمة ومن
اخلاقهم عدم الاعتناء وقد درج السلف كلهم على عدم الحرص وطول الامل
حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان اسامة بن زيد اشترى
وليدة الى شهر فصار يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر والله
ان اسامة لطويل الامل ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما رفعت قدمي
وظننت اني اضعهما حتى اقبض ولا القمة لقمة وظننت ان اسيغها حتى
اقبض ولا فتحت عيني فظننت اني اغمضهما وفي رواية حتى اغمض
بالموت وكان نجى يقول من جاع وقصر امله لم يجد الشيطان من قلبه محلا
يجلس فيه وكان سفيان الثوري يقول يا ابن ادم انما انت ايام فكل
يوم مضى فقد مضى بعضك وامروا الصلوة مرة بحضرة المعروف الكرخي
فقدموا فقيرا يصلي فابى وقال اخاف ان اموت في الصلاة فاستويش على الناس

صلاتهم فعزموا فقال بشرط ان لا اصلي بكم صلاة اخرى فقال له معروف
تاخر يا اخي فانك مخلط تخاف ولا انك تموت في الصلاة ثم تحدث نفسك
انك تعيش الى صلاة اخرى ثم قدم غيره فصلى بالناس وقال له قل
قل اللهم مد في اجلي حتى تنقضي صلاة تمام الناس وكان الحسن البصري يقول
من شان قصير الامل ان يظن في كل شيء اكله انه لا يخرج من بطنه الا على
يد الغسال بعد موته وما جمعه لا ينتفع به الا غيره ومتى ظن ان ما في
بطنه يخرج منه في الخلاء وما جمعه ياكله فهو طويل الامل وكان عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما يقول مكتوب على ظهر الحوت في البحر وعلى النواة
من التمرة هذا رزق فلان بن فلان لا ياكله غيره ومع ذلك فالحريص
يجهد ويخاف ان ياخذه غيره ومن اخلاقهم كثرة الشفقة على المسلمين ///
وسائر الحيوانات وسائر الحصات وكان معروف الكرخي اذا رأى عاصيا دعا له
بالمغفرة ورجى له الرحمة ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
لنجاة الناس والرحمة لهم والشيطان باهلاكهم والشماتة بهم وروي ان
موسى عليه السلام قال يا رب دلني على احب الخلق اليك من ذا اسمع بان اخاه
المؤمن شاكته شوكة حزن لها كانها شاكته هو وكان الحسن البصري
يقول من علامة الابدال كثرة الشفقة والرحمة لعامة المسلمين ومنها
الدعا على من يوذيه وعلى الظالم ومما يدل لوجود الابدال قوله عليه الصلاة
والسلام ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة وانما دخلوها
بسخاوة النفوس والنصح للامة وكان الامام علي رضي الله عنه بن ابي طالب
يقول الابدال بالشام والعصائب بالعراق والنجبا بمصر وسئل عبد الله
بن ماجه الحريمي ايكون من النسا ابدال فقال نعم وكان الحسن البصري رضي الله عنه

يقول لولا

يقول لولا الابدال لخسفت الارض بمن فيها ولولا الصادقون لفسدت الارض
ولولا العلماء لكان الناس كالبهائم ولولا السلطان لاهلك الناس بعضهم
بعضا ولولا الحمقى لخربت الدنيا ولولا الريح لانتن ما بين السماء والارض
وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول من اراد ان لا يرد له دعا فليكن
على قدم الملائكة في عدم العصيان وكان ابو البجيح رضي الله عنه يقول لو ان
المؤمن لم يعص ربه لكان اذا اقسم على الله ان يزيل له الجبل لاجابه وكان
السفيان بن عيينه يقول لولا ان يأتم الناس بي لقلت ان من يمتابني و
يذمني احب الي ممن يمدحني لان المادح لي يكذب بخلاف الذام وكان صاحب
هذا الكتاب يقول ادركت من اصحاب هذا المقام خلقا كثيرا منهم شيخي شيخ
الاسلام ورايتهم يفتون خبز اليابس في الماء ويكتفون وكان شيخ تاج الدين
ذاكر يقول ليس القناعة بان ياكل الشخص كلما وجد انما القناعة ياكل في كل
خمسة ايام او ثلاثة اكلة صغيرة ولو كان عنده مال كثير وكان سيدي
علي الخواص لا يجاوز تسعة لقم ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه واللقيمات من الثلاث الى التسع النبي صلى الله
عليه وسلم حق وصدق فمن امن به الايمان الكامل كفته التسع لقم ولم
يحتج الى الزيادة عليها وسمعته مرة يقول من لم يكتف بالتسع لقم في اليوم
والليلة فهو لم يؤمن بقوله صلى الله عليه وسلم حسب ابن ادم لقيمات انتهى
قلت وينبغي حمل ذلك على غير اصحاب الشاقة اما اصحابها كالحراث والحصاد
والتراب فلا يكفيه مثل ذلك وكان محمد بن واسع ياكل الخبز بالملح والخل
ويقول من رضي من الدنيا بمثل هذا لم يبذل نفسه للناس وكان سفيان
الثوري رضي الله عنه يقول من لم يقنع بخبز الشعير في هذا الزمان ابتلي بالذل

والرهبان وكان حماد بن زيد يقول ليس شيء اقطع لظهر ابليس من الزهد
في الدنيا وقال سفيان بن عيينة اشتهي ان ارى زاهدا عالما في الدنيا فقيل له
تلك ضالة لا توجد الان لان الزهد انما يكون في الحلال المحض واين يوجد
ذلك حتى ان الانسان يزهد فيه قلت ان الحلال موجود والمقامات موجود
ولكن حلال كل انسان ومقامه على قدر حاله ولذلك طلب الشارع منا ان ناكل
حلالا ونتاسى به في الاخلاق والمقام ولولا وجود الحلال وامكان التزقي
لبطلت الاحكام الشرعية من قرون متعددة فما ثم الا من ياكل حلالا
ويخاف الله عز وجل ويتورع ويزهد ولكن قدر حظه ونصيبه والله
اعلم وكان البصري رحمه الله يقول من لم يجعل حب الدنيا من الكبائر فقد اخطاء
٢٤ الطريق لان الكفر بني على الرغبة في الدنيا ومن اخلاقهم استحيائهم من كثرة
ترددهم الى الخلاء وذلك بدوام الجوع الشرعي مع الجدة اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد كان يشد الحجر على بطنه من الجوع قالت عايشة
ولو شاء صلى الله عليه وسلم لاكل ولكنه كان يوثر غيره بنفسه قلت قد كان له صلى الله
عليه وسلم مقام اخر اكمل من هذا وهو انه يبدأ بنفسه ولا يجوع الا اضطرارا
لان الكامل من شانه ان يوفي طبيعته حقها لانه مسؤل عنها فما جاع
صلى الله عليه وسلم اختيارا واثر على نفسه الا ليقتدى به في ذلك انتهى
وكان عبد الرحمن بن ابي نعيم لا ياكل الاكل خمسة عشر يوما ثم فتحه
فاذا هو قائم يصلي وكان عبد الله بن زبير يطوي الاسبوع فلا ياكل الا يوم
السبت وكان ياكل اذا افطر سمنا وعسلا وكان الامام ابو حنيفة مقلا
جدا وكان ياكل كاكل الطير في القلة ولم يكن في بيته الا الحصير وكان ابو
سليمان الداراني رحمه الله يقول احلى ما تكون العبادة الي اذا الزق ظهري ببطني

وكان يقول

وكان يقول الحكمة كالعروس تطلب البيت الخالي لتنام فيه لتخلو بصاحبها و
كان الحسن البصري يقول لا تجمعوا بين ادميين فانهما طعام لمنافقين وكان
الاوزاعي يدخل الخلاء كل شهر مرة صار يدخله في الشهر مرتين فكانت امه تقول
لاصحابه ادعوا لعبد الرحمن فانه قد صار مبطونا وكان مالك بن دينار يقول
قد استحييت من ترددي الى الخلاء اكل كل ثلاثة ايام مرة وكذلك كان الامام
مالك بن انس والامام البخاري وكان مالك بن دينار يقول بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وكان يقول
والله قد خلطت دقيقي بالرماد كذا كذا مرة واكلته حتى ضعف جسدي
ولو اقي وثبت عليه ما تركته وكان سفيان الثوري رحمه الله اذا لم يجد
طعاما حلالا استف الرمل خمسة عشر يوما واكثر وكذلك كان يقع
لابراهيم بن ادهم واستف رضي الله المصيبر عشرين يوما لا يذوق غيره
وكان سفيان الثوري يقول بت عند الحجاج بن فرافصة احد عشرين يوما
فما رايته ذاق طعاما ولا شرابا ولا قام لشيء سوى الصلاة انتهى
فان قيل ما ذكرتموه في هذا الخلق ولا الكلام بالجوع الشرعي فما وجه
الزيادة على ثلاثة ايام فالجواب ان رسول الله صلى عليه وسلم كان
رحمة على امته وكان يقول اقدروا القوم باضعفهم مع انه صلى الله عليه
كان يواصل الصوم فيحتمل ان هولاء الذين جاعوا خمسة عشر يوما
واكثر كانوا من الورثة له صلى الله عليه وسلم في ذلك ويحمل نهيه
صلى الله عليه وسلم عن الوصال على من يطيق ذلك فنهاه ان يعذب
نفسه حتى تصير نفسه تكره عبادة وقد كان ابو عقال المغربي
ياكل في كل ستة اشهر مرة وسمعت سيدي علي المرصفي رحمه يقول

قد وقع لسيدى عيسى بن نجم المدفون بساحل بحر البوس انه مكث ه
سبعة عشرين سنة لا ياكل ولا يشرب ولا ينام وهو على وضوء واحد
وقال بعض المحققين ان هؤلاء الذين يطوون كان احدهم يتناول نحو
الزبيبة ونحو القطرة من الماء ليخرج عن الوصال المنهى عنه وذلك
هو الظن بهم وقد اجمع القوم على ان الجوع من اعظم اركان الطريق حتى
قالوا اذا طلب المريد الاكل بعد خمسة ايام فامروه بالكسب فانه لا يجيء
منه شيء فى الطريق وكان ابو عثمان الحيرى يقول كنت امكث السنه
كاملة فى بدايتى وسياحتى لا يخطر الاكل على بالى الا ان حضر بين يدى
فانظر يا اخى جوعك تجده كلا شيء بالنسبة لجوع هؤلاء مع انهم ان
جوعهم بالخرج عن السنة كما مر تقريره لقوتهم عليه وما نهى عن الجوع
الا لخوف الضرر على النفس وقد كان سهل بن عبد الله التسترى يقسم
عقله وقوته ومعرفته الى سبعة اجزاء فلا ياكل ستة اجزاء ويقول لولا
اخاف الهلاك لكنت لا اكل حتى يفنى السبعة اجزاء والحمد لله رب العالمين
ومن اخلاقهم تقديمهم السلامة على الغنيمة من حيث رفض الدنيا وفراغ
يدهم منها فكانوا يقدمون فراغ يدهم من الدنيا على جمعها وانفاقها فى
سبيل الله خوفا ان يمنعوا منها حقها حتى كان احدهم يا طالب الدنيا
يسترها غيرك تركك لها ابر وابر وكان الحسن البصرى رحمه يقول من
تفرغ لعبادة ربه فهو افضل ممن تركها وسعى على عياله ومن اخلاقهم
عدم اهتمامهم بامر الرزق وانشراح صدرهم اذا لم يبت عند احدهم
دينار ولا درهم ولا طعام وكانوا يكرهون ادخار قوت غد وربما ادخر
احدهم قوت الغد والجمعة والشهر على اسم العائلة لا على اسم نفسه وربما

ادخر العارف القوت لاجل الجزء الذى يضطرب فيه واثباتها لنفسه وربما
ادخر الرزق الذى علم من طريق كشفه انه رزقه لا يصح لاحد غيره ان
يتناول منه شيئا فيدخره لاجل كونه رزقه لا حرصوا شيئا على غيره و
سمعت سيدى على النبتى الضرير رحمه الله يقول من شرط من يجتمع بالخضر
عليه السلام من الاولياء ان لا يدخر قوت غد فمن خبا قوت غد لم
يجتمع به ولو كان عبادة الثقلين قال ومن شان الخضر ان ياتى للعارفين
فى اليقظة وللمريدين فى المنام لان المريد لا يقدر على صحبته يقظة و
فلذلك ياتيه فى المنام يعلمه الاداب التى جهلها وقد كان ابو عبد الله السرى
احد رجال رسالة القشيرى يجتمع بالخضر عليه السلام يقظة و
بعد ذلك طويلا فانقطع الخضر عن الاجتماع به فى اليقظة وصار ياتيه فى
المنام فقال ابو عبد الله لئن رايته لاسالته عن سبب ذلك فراه
وساله عن ذلك فقال نحن لا نصحب من يخبا رزق غد وقد قلت له
لروجتك فى الوقت الفلانى ضعى هذا الدرهم على الرزق الى غد فقال
صحيح ذلك ولكن تبت الى الله تعالى عن الادخار قال وبعد ذلك فلم ياته
فى اليقظه الى ان مات ابو عبد الله هكذا اخبر به عن نفسه فى مرض موته
وكان اويس القرانى يقول لا يقبل الله من عبد عملا وهو يهتم بامر رزقه
ان المهتم بامر رزقه منهم لله عز وجل والمهتم لا يرفع له عمل انتهى قلت
فلا يهتم العبد لرزقه ويسعى فى طلبه بكل وجه اهتماما بامر الله تعالى له
بالكسب لا شك فى انه يضيعه وعلى ضد ذلك يحمل كلام اويس رضى الله
عنه وقيل لابى يزيد البسطامى مرة من اين تاكل قال من حيث يرزق الله
الذبابة والبعوضة افتراه يطعمها وينسى ابا يزيد وصلى مرة خلف امام

فقال له الامام يوما اني اراك لا كسب لك فمن اين تاكل فقال دعني حتى
اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك فانك لا تعرف الله ولا تنفع
صلاة من لا يعرف الله قلت وهذا لا ينافي حديث صلوا خلف كل بر
وفاجر لان الحديث ورد في سد باب الخروج على الائمه وهذا في مقام كمال
للامام ودليل القوم في عدم الادخار ما روي ان شخصا اهدى لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فاطعم خادمه طائرا منها فلما كان
من الغد اتته به فقال الم انهك ان ترفعي شيئا لغد فان الله ياتي برزق
كل غد انتهى فامتحن نفسك يا اخي بعدم ادخار شيء لغد فان رايتها
مضطربة فقل لها ليس لك في مقام الصالحين والحمد لله رب العالمين
ومن اخلاقهم اذا راوا شخصا انقطع عن الناس في الجبل مثلا وصار
ينزل للناس ويحضر ولايمهم ويزور اموالهم ان لا يحملوه على علة
فاسدة كان كان يقولوا عنه انه لا يقدر على الوحدة التي شهر نفسه
بها وانه انما يفعل ذلك مع الناس ليصيروا يحضرون مولده مثلا اذا
دعاهم اليه ونحو ذلك بل يجب حمله على انه انما يفعل ذلك خالصا لوجه
الله تعالى من باب حسن الخلق مع اخوانه المسلمين فاياك ان تظن باحد
من عباد الله تعالى المنقطعين في تربة او جبل سوءا اذا رايت احدهم خالط
الناس ويقول ان هذا انقطع عن الناس فماله ولمخالطتهم فان ذلك ينافي
حاله بل يظن به خيرا والحمد لله رب العالمين ومن اخلاقهم موافقة الفقيه ١٤
اذا انكر شيئا من احوال اهل الطريق او دايرهم ولا يقيم عليه الحجة الا اذا
علم رجوعه له فان الفقيه في دايرة لا يعرف غيرها فاذا قال ان القطب
مثلا او الابدال او الاوتاد ليس له حقيقة فقل له نعم وانوي بذلك انه ليس له

حقيقة

حقيقة عنده هو واذا قال ان الاولياء انقضوا ولم يبق احد منهم فقل له
صدقت وانو بذلك على معتقده هو واذا قال الخضر لا وجود له فقل له
نعم لا سيما ان اتى بكلام احد ممن ينكر ذلك كابن تيمية وغيره وقد خالف
هذا الخلق جماعة وخالفوا الفقيه فوقع بينهم شرور وقذف اعراض وسب
للطائفة وما هكذا كان الاشياخ السابقون رضي الله عنهم اجمعين و
١١٢ من اخلاقهم كثرة رياضة نفوسهم حتى يصير احدهم ينظر للذين عليه ببادي
الراي دون الذي له فاذا سمع نحو قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون يرى نفسه جاهلا ويرى جميع اقرانه علماء ببادي الراي
وانه لا يستوي مع واحد منهم ولا يقاربه في مقام ولا حال عكس ما يتبادر
اليه ذهن من لم يجاهد نفسه فاذا علم ذلك واعمل عليه تجد بعد ذلك
٩٦ رحمة عظيمة والحمد لله رب العالمين ومن اخلاقهم تفقدهم نفوسهم كل
ساعة ليخرجوا منها صفات المنافقين ويدخلوا فيها صفات المؤمنين
فانها بضده من صفات المؤمنين فمن صفات المؤمنين التي وصف بها المؤمنين
في كتابه قوله تعالى التائبون العابدون الى اخره ومن صفاتهم ما ذكره الله تعالى
في قوله قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى اخره ونحوهما من
الايات وفي الحديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وفي الحديث
الاخر لا يؤمن احدكم حتى يامن جاره بوايقه قالوا وما بوايقه يا رسول الله
قال غشمه وظلمه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا رايتموني زغت
عن الطريق فقوموني وانصحوني فان المؤمن لا يكون الا ناصحا لاخيه
وقد جمع يحيى بن معاذ جملة من صفات المؤمن فقال ان يكون كثير الحيا قليل
الاذى كثير الخير قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل

قليل الفضول كثير البر للرحم وصولا وقورا صبورا شكورا كثير الرضى عن
الله تعالى اذا ضيق عليه الرزق حليما رفيقا باخوانه عفيفا شفوقا لا لعانا
ولا سبابا ولا عيابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حسودا ولا حقودا
ولا متكبرا ولا معجبا ولا راغبا في الدنيا ولا طويل الامل ولا كثير النوم
والغفلة ولا مرائيا ولا منافقا ولا بخيلا هشاشا بشاشا لا جساسا
ولا حساسا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب لله زاده
تقوى وهمته عقباه وجليسه ذكراه وحبيبه مولاه وسعيه لاخراه
وذكر نحو ثلاثمائة وصف وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول لو نبتت
للمنافقين اذناب ما وجد المؤمنون ارضا يمشون عليها وكان حذيفة
رضي الله عنه يقول كان الرجل يتكلم بالكلمة الواحدة على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم في المجلس
الواحد عشر مرات ولا يتنبه لها انتهى قلت في زماننا هذا بناء على قول
حذيفة ما يخلو احد من النفاق الا المخلصين الصادقين اعاذنا الله
من صفة النفاق ولو كان كلمة واحدة على خلاف القلب وفي الحديث
المنافق الذي همته في الطعام والشراب والمؤمن همته في الصيام والصلاة و
كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول المؤمن يزرع النخلات ويخاف ان
تثمر شوكا والمنافق يزرع شوكا ويطلب ان يثمر رطبا وكان حاتم الاصم يقول
من علامة المؤمن ان يفعل الطاعات ومع ذلك يبكي وعلامة المنافق
ان يسيء العمل ثم يضحك انتهى ففتش يا اخي نفسك قبل موتك وابك على
نفسك ان وجدت فيها اخلاق المنافقين كما سمعت واوصافهم وعلاماتهم
والحمد لله رب العالمين هذا اخر ما تيسر لي جمعه من اخلاق السلف الصالح

ورضي الله

رضي الله عنهم اجمعين تمت هذا اخر ما يسر الله جمعه من هذه الرسالة الشريفة
والمأمول ممن اطلع فيه من ذوي العلم على قصورا وتقصيرا وخللا في ترتيب
او تعبير ان يصلحه بعد تحقيقه بالتأمل فيه وان يسعى بجميع جهده في
اصلاحه وتلافيه فان الانسان محل الخطاء والنسيان ولما شرعت في خطبة
الكتاب في حصر عظيم من عدم وجود المواد التي استمد منها في الكتاب فدخل
على شخص بكتاب عتيق مخروم من الاول بخط كوفي تاريخ كتابته خمسمائة
سنة وشيء فوجدته مشحونا باحوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين
ورأيت مؤلفه يروي عن وكيع بن الجراح من اقران الامام مالك رضي الله
عنه ففرحت بذلك اشد الفرح فتشيدت به اخلاق هذه الرسالة واخذت
بعض الاحاديث والاخلاق من كتب المعتبرة معتمدا اليه وكان من يطالعه
صحب الصحابة والتابعين وتابع التابعين وروى اقوالهم وافعالهم وورعهم
وزهدهم وخوفهم وخشيتهم وعلمهم رضي الله عنهم اجمعين واعلم ان
من طالعه بانصاف رأى نفسه قد انسلخت من اخلاق الصالحين كما تنسلخ
الحية من ثوبها فاسأل الله تعالى من فضله ان ينفع به الاخوان ومن بعدهم و
يختم لنا ولهم بالحسنى وان يجعل اخر كلامنا في هذه الدار اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله صح
وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم والحمد لله رب العالمين انتهى هذه الرسالة
بقلم المفتقر عثمان بن مصطفى الانقروي غفر الله له
ولوالديه امين والحمد لله رب العالمين
سنة اثني وسبعين ومائتين
والف سنة
١٢٧٢